الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي –

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

سيكولوجية الشخصية المسجونة، قراءة في رواية: "القوقعة" لمصطفى خليفة

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب عربي حديث ومعاصر

إعداد الطلبة:
* الهاشمي واغد
* عبد الله غنابزية
* فيصل شيخة بلقاسم

إشراف الأستاذ:
– أ. د عبد الرشيد همسي

الموسم الجامعي :1444-1445 هـ/2023-2024 م

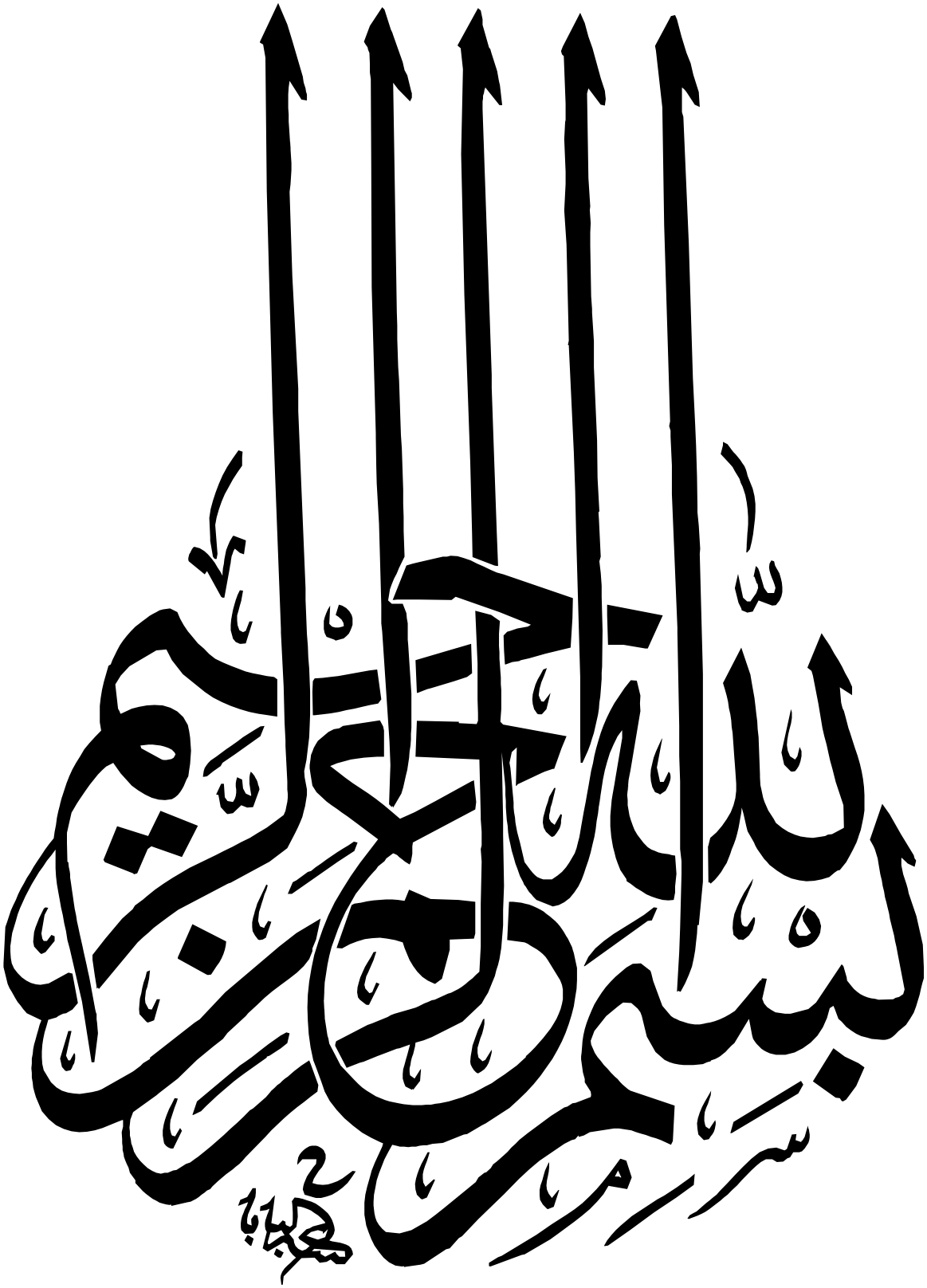
بسم الله الرحمن الرحيم

﴿شكر وعرفان﴾

في غمرة فرحتنا بنهاية بحثنا هذا لا يسعنا الإ أن نتوجه لله سبحانه وتعالى بالحمد والشكر على توفيقه لنا في مسيرتنا، وتسخيره ما تيسر لنا من عباده من مدنا بيد العون و المساعدة.

ومصداقا لقول الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة و أزكى التسليم :"من لا يشكر الناس لا يشكر الله".

ومنه:

يطيب لنا أن نتقدم باسمى عبارات الشكر و الامتنان لسعادة الأستاذ المشرف: البروفيسور: "عبد الرشيد هميسي" على جهوده اللامحدودة ومساهمته الفعالة في توجيهنا و إرشادنا خلال مسيرتنا البحثية و العلمية ،فهو الشخص الذي بذل الكثير من الوقت و الجهد في متابعته لنا، و حرصه الدائم على تشجيعنا وحثنا على البحث من أجل تحقيق التميز، شكرا لك و ألف شكر و إن كانت كل كلمات الشكر لا تجزي حقك، ولكن نسأل الله لك مزيدا من العطاء و التألق في بحر العلم و المعرفة.

و الشكر موصول مرة ثانية لكل من قدم لنا يد العون و المساعدة وفي مقدمتهم "أكاديمية التاج التعليمية" و "فوج السعادة الكشفي" لما وفروه لنا من امكانيات من أجل تذليل صعوبات بحثنا.

كما نتوجه لأسرة زميلنا "شيخة بلقاسم فيصل" على وقفتهم معنا خلال مسيرة البحث و الإنجاز وبالأخص الوالدين الكريمين.

وكل الشكر إلى لجنة المناقشة الموقرة على الثناء و الامتنان بصبرها معنا وإنفاقها من الجهد و الوقت في سبيل تقويم عملنا هذا.

فيصل شيخة بلقاسم غنابزية عبد الله الهاشمي واغد

إهداء

بكل عبارات الحب و التقدير و الوفاء أهدي بحثي هذا:

إلى الوالدين الكريمين أمي الغالية التي تخصني بجميل الدعاء و الرضى ، ودعمها لي في أحلك الظروف، أدامها الله تاجا فوق رأسي، وأبي العزيز شفاه الله، وإلى أمي التي لم تلدني زوجة والدي حفظها الله ورعاها، أولئك الذين يروونني مصدر فخر لهم.

إلى رفيقة دربي أم أبنائي زوجتي الحبيبة الصابرة عن تقصيري و لكنها وقفت إلى جانبي ودعمتني، وجعلت كل شيء ممكنًا بصبرها ودعمها لي.

إلى روح أخي علي طيب الله ثراه، وزوجته وبناته حفظهم الله و رعاهم.

إلى جميع إخوتي وأخواتي وأبنائهم و أزواجهم.

إلى أبنائي : يوسف . قلب الدين . سيف الدين. وابنتي جوري زهرة البيت وعبقه الفواح.

إلى عائلة زوجتي الكريمة الذين أعتبرهم أسرتي الثانية .

إلى من تقاسما معي صعوبات هذا البحث صديقاي : عبد الله – فيصل.

إلى جميع تلاميذي ممن درستهم خلال مسيرتي التعليمية و أخص بالذكر تلميذي الغالي محمد الشايب رمضاني أسأل الله له التوفيق و النجاح في شهادة البكالوريا.

إلى جميع منتسبي فوج السعادة خاصة القادة والكشافين وأخص بالذكر منهم : مقسم – يوسف – محمد أسامة.عبد الرحمن.عبد القادر. عمران.محمد نضال .إياد أمير.محمد الصالح .أيوب.أكرم .الياس– سعد – أنس – محمود – وبالأخص ميلود قدوري.

– إلى السيد المدير عطاالله لخضر: الذي ما بخل علي بالدعم و التشجيع و التفهم.

–إلى جميع زملائي الأساتذة و أبنائي تلاميذ مدرستي حمي بلقاسم و بن عمارة البشير

– إلى جميع أصدقائي وأخص بالذكر: علي ميلودي و الحبيب شكيمة.

–إلى كل من شاركني فرحتي وأسعده نجاحي أهدي باكورة عملي.

واغد الهاشمي

إهـــــــداء

قال تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ ﴾

إلهي لا يطيب الليل إلا بشكرك، ولا النهار إلا بطاعتك، ولا تطيب اللحظات إلا بذكرك، ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك، ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك.

وأثني على من بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، إلى نبي الرحمة ونور العالمين **سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.**

إلى من كلله الله بالهيبة والوقار، إلى من أحمل اسمه بكل افتخار **والدي العزيز.**

إلى ملاكي في الحياة، إلى معنى الحب والحنان والتفاني، إلى بسمة الحياة وسر الوجود، إلى من كان دعائها سر نجاحي، وحنانها بلسم جراحي، إلى أغلى الحبايب **أمي الحبيبة.**

إلى رفيقة روحي، إلى التي تحملت انشغالي وإرهاقي وقلقي طوال فترة بحثي، إلى المرأة التي وقفت بجاني في كل الظروف حلوها ومرها **زوجتي الغالية.**

إلى من حلّت بركة وجودهن في حياتي، إلى من ملأت ضحكاتهن الجميلة عمري، إلى قرة عيني بناتي الحبيبات: **رغد ، زينب ، ريتاج** ، وزهرة البيت الكتكوته الصغيرة **فضيلة.**

إلى منارة العلم والعلماء إلى الصرح الشامخ: **كلية الآداب واللغات بجامعة الوادي.**

إلى الذين حملوا أقدس رسالة في الحياة، إلى الذين مهدوا لنا طريق العلم والمعرفة، أساتذتنا الأفاضل وعلى رأسهم الصديق الدكتور: **عبد الرشيد هميسي.**

إلى من شدا أيديهما بيدي ونحن نشق الطريق نحو النجاح في مسيرتنا العلمية، إلى رفيقا دربي: **الهاشمي و فيصل.**

إلى مدير متوسطة حمي العرابي **بخاري العايب** وكافة الزملاء **الأساتذة** الذين لم يبخلوا بتشجيعهم لي.

إلى **تلاميذي** الأعزاء الذين درستهم في مسيرتي التربوية.

إلى سندي في الحياة **إخوتي وأخواتي** كل واحد باسمه.

إلى **أخوالي وخالتي**، إلى روح خالي الطاهرة **الأخضر خشيم ماضي** رحمه الله وطيب ثراه.

إلى صهري **معامرة مسعود** ،و زوجته وكافة أبنائه.

إلى كل **الأهل والأقارب** قلبًا ودمًا و وفاءً، وأخص بالذكر ابن خالتي العزيز **أنيس.**

إلى جميع أصدقائي وأخص بالذكر الصديق العزيز **عبد المالك خلائفه.**

غنابزية عبد الله

إهداء

إلى الذي كان يدفعني قدما لنيل مبتغاي "أبي"، يا قرة عيني حفظك الله وأدامك سندا لي.

إلى من حصد الأشواك عن دربي لأصل وأحقق حلمي، إلى شمس تنير ظلمة حياتي "أمي" الحبيبة، يا نبض قلبي.

إلى توأم روحي، ونصفي الآخر وأم أبنائي "زوجتي" الغالية.

إلى أبنائي وفلذات أكبادي الأعزاء: "آدم"، "تاج الدين"، "الفاروق" حفظهم الله وجعلهم ذخرا لي وللأمة جمعاء.

إلى كافة أخواتي وإخوتي، وأزواجهم وزوجاتهم.

إلى كافة زملائي في العمل، وعلى رأسهم مدير –ثانوية حنكة علي– "يونس جبلون"، والسيد الناظر "هشام جبالي"، اللذين كانا سندا طيبا لإتمام هذا العمل.

إلى كافة أصدقائي كل واحد باسمه.

إلى من شاركوني هذا البحث المتواضع: الهاشمي و عبد الله.

إلى إخوتي الأعزاء مسيري أكادمية التاج التعليمية: فريد شيخة بلقاسم، الأخضر تواتي إبراهيم، شيخة بلقاسم الطيب.

إلى كل من ساعدني وشجعني من قريب أو بعيد.

فيصل بلقاسم شيخة

مقدمة

تعد الشخصية من أهم العناصر الفنية في السرد الروائي وذلك لأن السرد يعول عليها كثيرا في تحريك الأحداث، وصنع الحبكة، و التأثير في المتلقي، حيث إنه لا وجود لرواية دون شخصيات منتقاة تدير أحداثها بدقة واحترافية.

ولما شعر النقد الأدبي بهذه الأهمية التي تحتلها الشخصية، راح يخوض و يحفر في طبقات الشخصية حتى وصل إلى الأعماق السيكولوجية، تلك المنطقة الغامضة في الشخصية والتي هي مزيج من الأهواء و الرغبات والميولات.

وازداد الاهتمام بالشخصية من حيث بنائها النفسي مع اكتشاف سيجموند فرويد منطقة اللاوعي، وكل الألغاز التي كانت تؤثثها، فمع فرويد انطلق علم حديث اسمه التحليل النفسي للأدب، الذي من شأنه البحث في المدونات الأدبية والكشف عن الخارطة النفسية للمؤلف أو بطل النص، وما يكتشفه من عقد وميولات وتجارب نفسية مريرة تسيطر عليه وتفرض عليه نفسها، وتوجهه في الحياة وتحدد له خياراته السلوكية ورؤيته للحياة ومآلاته.

ولما كان أدب السجون من أغنى الأجناس الأدبية احتفاء بسيكولوجية الشخصيات، لأن هذا الأخير توضع في شروط نفسية قاسية، لذلك فهي تعيش تحولات نفسية بعد دخولها عالم السجن، وقد يؤدي بها هذا التحول إلى الجنون، أو الاكتئاب، أو إلى أي شكل من أشكال التمزق النفسي.

لقد تكفلت روايات السجون بهذا الأمر، واهتمت بالجانب النفسي للشخصيات المسجونة التي أدارت رحى السرد في النص، فما من بطل من أبطال هذه الروايات إلا وقُدّم بكثافة سيكولوجية رهيبة.

ومن هذا المنطلق اخترنا بحثنا الذي كان بعنوان :

"سيكولوجية الشخصية المسجونة قراءة في رواية القوقعة لمصطفى خليفة".

ما دفعنا لاختيار هذا الموضوع وهذه المدونة السردية بالضبط دافعان: دافع موضوعي، وهو ما رأيناه من جدوى التحليل النفسي للمدونات السردية والنتائج التي توصل إليها، وهي بمثابة كشوفات جديدة في حقل بكر، بل إن هذا التحليل النفسي غيّر من نظرة النقد الأدبي إلى بعض المتون السردية، كما فعل عز الدين إسماعيل مع رواية الأخوة كرامازوف عندما وقف على أهم العقد والملامح النفسية والدوافع التي أزمت الصراع في متن الرواية موظفا كل المعطيات والحقائق النفسية التي توصل إليها فرويد ويونغ وأدلر وغيرهم.

أما الدافع الذاتي هو ميلنا إلى روايات السجون، لما فيها من لذة الاطلاع على عالم غريب على ما ألفنا في حياتنا الاجتماعية، إنه عالم الإجرام والعقاب والحرمان، وهو عالم كثيف سيكولوجيا مليء بالأحداث الغريبة.

حينما عزمنا على المضي في هذا الموضوع عنّت لنا إشكالية مركزية ضخت في ثنايا بحثنا الحياة والتساؤلات وكانت الإشكالية كالآتي:

ما التجليات السيكولوجية للشخصيات المسجونة في قوقعة مصطفى خليفة؟

وانبثق من هذه الإشكالية أسئلة فرعية تكفلت بتجزيء الإشكالية الأم إلى أشطار لكي يسهل تناولها:

1- ما الشخصية؟ وما سيكولوجيتها؟

2- ما أدب السجون؟ وما الأمراض النفسية المنبثقة من السجن؟

3- ما التحولات النفسية التي تعرض لها بطل الرواية إثر دخوله لعالم السجن؟

4- ما الأمراض وما الخارطة النفسية لبقية شخصيات الرواية؟

ولعلنا مثل غيرنا من الباحثين عندما سُبِقنا إلى طرح هذا الموضوع. فالساحة الأدبية والنقدية ليست عقيما إلى درجة إفلاسها من طرح مثل هذه المواضيع، لقد سبقنا الباحث بلال محمود خليفة عندما ألف رسالة ماجستير بعنوان التحليل النفسي لرواية القوقعة إشراف الدكتور محمد رامز كورج، جامعة حلب في المناطق المحررة سنة 2022.

والباحثان شيماء لاغة، وبلال ساعي عندما أعدّا مذكرة ماستر بعنوان بنية المكان والشخصية في رواية القوقعة لمصطفى خليفة، إشراف الدكتور ناصري علاوة، بجامعة العربي التبسي، تبسة، سنة 2021.

والباحثتان بن طالب حنان، صيد نور عندما أعدّا مذكرة ماستر بعنوان تيمة العنف في رواية القوقعة لمصطفى خليفة، إشراف الأستاذة بوطالبي حفصة، بجامعة محمد بوضياف، المسيلة، سنة 2020.

والباحثة بوحفص رحيمة عندما أعدّت مذكرة ماستر بعنوان: من المضمرات الثقافية في الرواية السجنية، دراسة نقدية ثقافية في رواية القوقعة لمصطفى خليفة، إشراف الدكتور بوخال لخضر، بالمركز الجامعي صالحي أحمد ، النعامة، سنة 2020.

والباحثة العمرية سلطاني عندما أعدّت مذكرة ماستر بعنوان: سجال أدب السجون بين المتخيل والمرجع في رواية القوقعة لمصطفى خليفة، إشراف الدكتورة سعدية بن ستيتي بجامعة محمد بوضياف، المسيلة، سنة 2023.

ولهؤلاء البحثة سبق الفضل، لكن الذي طرقناه نحن مختلف قليلا عما طرحوه، وهذا الذي يكسب بحثنا شرعية وجوده، فلا أحد فيهم طرق موضوع سيكولوجية الشخصية بتوسع وتعرض للأمراض والحالات النفسية المعقدة التي عانت منها الشخصيات المسجونة في مدونة القوقعة لمصطفى خليفة، فهذه الرواية على جمالها وشهرتها لم تتناول من جهة سيكولوجية الشخصية لهذا تكفلنا نحن بذلك.

لقد فرض علينا منهج التحليل النفسي نفسه لأنه الأقدر من بين بقية المناهج على الغوص في أعماق النصوص وتلافيفها واستكناه الحقائق النفسية بجميع ألوانها ثم تحليلها تحليلا شافيا مبينا عللها وتجلياتها ودورها في سيرورة السرد.

ولم يمنعنا هذا المنهج من الاستعانة بآلية الوصف في القسم النظري من البحث.

بعد اختيارنا للمنهج رسمنا خطة نراها مناسبة لمسار البحث الأكاديمي، بها مقدمة وفصلان وخاتمة.

أما الفصلان فهما: فصل نظري بعنوان **الشخصية والسجن: في اللغة والسرد والحقل النفسي**، طرقنا فيه تعريف الشخصية لغة واصطلاحا، ومن منظور علم النفس، والأمراض النفسية وإلى سرد السجون مفهومه والأمراض النفسية الناجمة عنه وإلى موضوعات أدب السجون وإلى أشهر الروايات العربية التي كان موضوعها السجن.

وفصل تطبيقي تقصينا فيه الحياة النفسية لبطل الرواية ولبقية الشخصيات المسجونة الأخرى، مستخرجين أهم الميولات والمخاوف والعقد والتحولات والأمراض النفسية التي طرأت عليهم وما آثارها فيهم.

ولكي يتم البحث على أتم وجه اخترنا له مكتبة بحثية مهمة تحوي أمهات الكتب التي أُلفت في التحليل النفسي للمدونات الأدبية نذكر أهمها:

1- سيكولوجية الشخصية لمحمد غنيم.

2- الشخصية في ضوء علم النفس لمحمد محمود عبد الجبار الجبوري.

3- أسس علم النفس لأحمد محمد عبد الخالق.

4- أنماط الشخصية أسرار وخفايا لحسين حمزة.

5- اضطرابات الشخصية (أنماطها – قياسها) لسوسن شاكر مجيد.

لم يعترض بحثنا هذا عقبات كثيرة، ولم يخلُ أيضا من عقبتين مهمتين أولهما انقطاعنا الطويل عن مجال البحث العلمي لأكثر من عشر سنين، الأمر الذي جعل استعادة التأسيسات العلمية للتحليل النفسي تبدو صعبة وذات مجاهل. أما الثانية فهي وظائفنا التي أخذت منا نصيب الأسد من الوقت والجهد.

وبعد هذا كله لا يسعنا إلا أن نشكر كل من ساعدنا في إنشاء هذا البحث وعلى رأسهم الأستاذ المشرف: أ. د عبد الرشيد هميسي الذي كان متحمسا كثيرا لموضوع البحث ومساعدا متفهما لوضعنا.

وفي الأخير نسأل الله التوفيق في هذا البحث وفي غيره من البحوث ونرجو أن تجد اللجنة الكريمة متعة في قراءة بحثنا ومناقشته.

والله الموفق.

- حررت المقدمة بتاريخ: 25 ماي 2024 من طرف الطلبة:

- الهاشمي واغد.
- عبد الله غنابزية.
- فيصل شيخة بلقاسم.

الفصل الأول

الشخصية والسجن: في اللغة والسرد والحقل النفسي

أولا- الشخصية في العمل السردي والحقل النفسي.

1- مفهوم الشخصية:

تعتبر الشخصية عنصرا من عناصر العمل الروائي وقوامه الأساسي، ومركز نشاط الحدث فلا تأتي إلاّ في وجود الشخصية، فالأدوار التي يشكلها الروائي يخلق لها شخصيات تتناسب معها وتليق بها.

أ- لغة:

جاء في لسان العرب «الشخص: جماعة الإنسان وغيره، مذكر والجمع أشخاص وشخوص وشخاص، والشخص سواء الإنسان وغيره تراه من بعيد، وكل شيء رأيت جسمانه فقد رأيت شخصه»[1].

ونجد أيضا في معجم الوسيط مصطلح (شخص): «شخص الشيء شخوصا، ارتفع وبدا من بعيد، وشخص الشيء: عينه وميزه عما سواه، ويقال شخص الداء وشخص المشكلة... والشخصية، صفات تميز الشخص عن غيره، ويقال فلان ذو شخصية قوية: أي ذو صفات متميزة، وإرادة وكيان مستقل»[2].

كما نجد هذه اللفظة في معجم " الصحاح " «الشخص: سواء الإنسان وغيره تراه من بعيد»[3].

نستنتج مما سبق أن مصطلح الشخصية هو جملة من الصفات المميزة والملامح الواصفة لشخص ما، والتي تفرده عن بقية الأشخاص الآخرين، وهي تتمثل في المنظر الخارجي.

ب- اصطلاحا:

كان الاهتمام بالفرد في المجتمعات القديمة قليلا، ولذا كان من الطبيعي أن يقل الاهتمام بدراسة الشخصية لعلاقتها الوثيقة بالفردية. ومع تطور المجتمعات وتعقد المشكلات الإنسانية في العصور الحديثة وظهور الاتجاهات الديمقراطية، أخذ الاهتمام بالفرد يزداد

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، مج2، ط1، 2004، ص36.

[2] إبراهيم مصطفى وآخرون، معجم الوسيط، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر، ج1، تركيا، ط1، ص475.

[3] إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، دار الكتب العلمية ،ج3، بيروت، 1971، ص1042.

بشكل ملحوظ، كما أخذت الحاجة تظهر بوضوح لفهم طبيعة الشخصية الإنسانية ولفظ «شخصية» من الألفاظ الدارجة على لسان معظم الناس، فكثيراً ما نسمع شخصاً يصف شخصا آخر بقوله: إنه شخصية جذابة، أو شخصية قوية، أو ضعيفة، أو لا شخصية له أو أن له شخصيات متعددة. ولشيوع اللفظ على ألسنة الناس وفي الكتب والمجلات والصحف اليومية، أصبح يبدو لنا بسيطاً ومفهوماً لا يحتاج إلى تعريف أو إيضاح. وقد يكون ذلك صحيحا إلى حد ما من الناحية العلمية، فقلما يسألك إنسان عما تعنيه بقولك (شخصية)، ولكن الأمر يختلف اختلافاً كبيراً إذا انتقلنا إلى مجال العلم. فإذا سألت شخصاً أن يحدد لك اللفظ تحديداً دقيقاً، فإنك تصل إلى تعريفات مختلفة وكثيرة للفظ، وتختلف من شخص إلى آخر ومن باحث إلى آخر، ولذلك كان من الضروري أن نحدد اللفظ، إذ هو في الواقع غير محدد، على عكس ما يبدو لمعظم الناس.

ومن هذا المنطلق توصلوا إلى أن: «تعريف الشخصية مسألة افتراضية بحتة؛ فليس هناك تعريف واحد صحيح، والباقي تعريفات خاطئة. والوقوف عند تعريف مقبول يرتضيه الباحث يقتضي منه دراسة مختلف التعريفات التي وضعت لدراسة الشخصية، ومن الطبيعي أن يكون المصطلح واسع الانتشار «كالشخصية» تعريفات كثيرة متعددة ومختلفة، وقد أورد "جوردون البورت" في كتابه (الشخصية) ما يقرب من خمسين تعريفاً أو معنى مختلفاً للشخصية، وبعض هذه المعاني لاهوتي وبعضها فلسفي وبعضها اجتماعي، وبعضها سيكولوجي.

ويذهب ألبورت إلى أن كلمة «شخصية» كان يطلق عليها في اللاتينية القديمة لفظ «برسونا» Persona وحده هو المستخدم، ويتفق الجميع على أنه كان يعني «القناع»، وقد ارتبط هذا اللفظ بالمسرح اليوناني القديم، فالشخصية ينظر إليها من ناحية ما يعطيه قناع الممثل من انطباعات، أو من ناحية كونها غطاء يختفي وراءه الشخص الحقيقي ويتفق هذا القول مع التعريفات التي تنظر إلى الشخصية من ناحية الأثر الخارجي.

فالشخصية يمكن النظر إليها باعتبارها:

أ- الفرد كما يظهر للآخرين، وليس ما هو عليه في الحقيقة، وهي بهذا المعني تتصل بالقناع»[1]

[1] محمد غنيم، سيكولوجية الشخصية، دار النهضة العمومية، مصر، ص44.

«**ب**- مجموع الصفات الشخصية التي تمثل ما يكون عليه الفرد حقيقة، وهي بهذا المعنى تتصل بالمثل.

ج- الدور الذي يقوم به الفرد في الحياة سواء كان دوراً مهنيا أو اجتماعياً أو سياسياً.

د- الصفات التي تشير إلى المكانة والتقدير والأهمية الذاتية، وهي بهذا المعنى تشير إلى المركز الكبير الذي يحتله الفرد، مثلا حين نتحدث عن شخص ما بأنه: "شخصية كبيرة" وبسبب هذه الدلالة التي بالقيم، فإننا لا نقابل مثل هذا التعريف الأخير عادة بين التعريفات العملية، وإن كنا نقابله في الاستعمال الدارج حين نشير إلى شخصية ما ذات حيثية ومكانة.

هناك تعريفات أخرى علمية، نذكر منها على سبيل المثال تعريف «مورتن برنس» للشخصية بأنها: مجموعة ما لدى الفرد من استعدادات ودوافع ونزعات وشهوات وغرائز فطرية وبيولوجية، كذلك ما لدية من نزعات واستعدادات مكتبية، ومثل هذا التعريف يعطي أهمية لما هو داخلي كالغريزة والنزعة والاستعداد والدوافع في الشخصية. أما تعريف "كمف" للشخصية فهو أسلوب التوافق العادي الذي يتخذه الفرد بين دوافعه الذاتية المركز ومطالب البيئة»[1]. ومثل هذا التعريف يعطي اهتماما لأسلوب توافق الفرد مع البيئة.

في هذا التعريف يركز كمف على الأسلوب الذي يتخذه الفرد في مواقفه المختلفة ولم يركز على الغرائز. ولا على الميولات والنزعات والاستعدادات... أي أن الشخصية سلوك فالفرد يزن سلوكه الذي هو بين حتميتين: حتمية الدوافع الفطرية، وحتمية البيئة، ويقع على عاتقه الترجيح والاختيار والتقدير هل يطلق العنان لغريزته في موقف ما أم يكبتها مثلاً.

أما فلويد ألبورت فقد أثار في كتابه "علم النفس الاجتماعي"، إلى أن الشخصية هي: «استجابات للفرد المميز للمثيرات الاجتماعية في البيئة»[2]، ولقد لفت "وطسن" الأنظار إلى الخلق باعتباره جزءاً من الشخصية، فالشخصية تتضمن – في نظره-« ليس فقط هذه الاستجابات (ويعني بها الخلق والعرف)، بل وأيضاً التوافقات الشخصية للفرد وقدراته وكذلك تاريخ حياته»[3].

[1] المرجع السابق، ص45.

[2] المرجع السابق، ص46.

[3] المرجع السابق ، ص47.

وإذا نظرنا إلى هذه التعريفات التي قدمها بعض علماء النفس، نجد أنها تتمايز في مجموعتين:

- إحداهما تنظر إلى الشخصية « كمُثير » أي من حيث قدرة الفرد على إحداث التأثير في الآخرين.
- والأخرى تنظر إلى الشخصية «كاستجابة»، أي من حيث السلوك الذي يستجيب به الفرد وما يقوم به من أفعال في المواقف البيئية المختلفة.

وفي ضوء ما سبق، يمكن أن نحدد الصفات المختلفة التي يجب أن يشتمل عليها المفهوم البسيط للشخصية، وهذه أهمها:

1- الشخصية وحدة مميزة خاصة بالفرد حتى ولو كانت هناك سمات مشتركة بينه وبين غيره من الأفراد.

2- الشخصية تنظيم وتكامل حتى ولو لم يتحقق هذا التكامل دائماً، فهو هدف يسعى الفرد دائما إلى تحقيقه.

3- الشخصية تتضمن فكرة الزمن، فالشخصية لها تاريخ ماض وحاضر راهن.

4- الشخصية ليست مثيراً ولا استجابة وإنما هي مكون افتراضي.

وفي ضوء هذه الصفات يمكن تعريف الشخصية بأنها، «ذلك التنظيم، أو تلك الصورة المميزة التي تأخذها جميع أجهزة الفرد المسؤولة عن سلوكه خلال حياته»[1]، وربما كان تعريف "جوردون البروت" تعريفها مناسبا لهذا الغرض، حيث عرف الشخصية بقوله: «هي ذلك التنظيم الدينامي الذي يمكن بداخل الفرد والذي ينظم كل الأجهزة النفسية الجسمية التي تملي على الفرد طابعه الخاص في السلوك والتفكير»[2].

ويعرف عباس محمود عوض الشخصية: «بأنها وحدة متكاملة من الصفات تميز الفرد عن غيره، والوحدة المتكاملة كاللحن الموسيقي – مجموعة من وحدات صغيرة متفاعلة»[3].

[1] المرجع السابق، ص47.

[2] المرجع السابق، ص48.

[3] سوسن شاكر مجيد، اضطرابات الشخصية (أنماطها – قياسها)،دار صفاء للنشر و التوزيع عمان،ط1،2015، ص22.

أما على كما فيرى في الشخصية: «أنها هي التي يجمع صاحبها في نفسه معدلا متوازن التركيب من الخصائص الإنسانية التي يتقبلها المجتمع بأنها في حدود الاعتدال»[1].

ويعرفها أيضا: «أنه ذلك الفرد الذي تظهر خصائص شخصيته بصورة متكاملة وبأنه يستطيع توجيه هذه الخصائص بشكل متوازن نحو تحقيق هدف حياتي معين»[2].

أي يستطيع الإنسان السوي المتوازن تحقيق أهدافه إذا ما استغل خصائصه الإنسانية وتطوير ذاته.

أما سيجموند فرويد مؤسس نظرية التحليل النفسي له نظريته الخاصة، فقد كان يعتقد أن الشخصية الإنسانية تتكون من: « (الهو والأنا والأنا الأعلى)، أما الهو: القدرة الغريزية التي تصرخ أريد ذلك الشيء بدون ضوابط ولا محرمات أو ممنوعات وأما الأنا الأعلى هو الضمير المثقل بالذنب، الذي يقول: لا تستطيع أن تنال ذلك الشيء وأما الأنا، فهو القدرة العاقلة التي تقول: دعونا نرى ماذا نستطيع أن نفعل لنحل الإشكال»[3].

وهنا يعتقد فرويد أن هذه المصطلحات تقدم وصفا ممتازا للعلاقات الديناميكية بين الوعي واللاوعي فالأنا غالبا ما تكون واعية تتعامل مع الواقع الخارجي، أما الأنا الأعلى فهي الوعي أو المحاكمة الأخلاقية الداخلية في حين يمثل الهو اللاوعي وهي مخزن الرغبات والغرائز اللاواعية والدوافع المكبوتة.

وهناك تعريفات عديدة للشخصية نورد منها:

تعريف "محمد عزام" حيث يرى: «أن الشخصية الروائية هي التعبير الأمثل عن فكر جماعة اجتماعية معينة، لأن وعيها جزء من الوعي الجماعي، ولأن رؤياها للعالم هي رؤيا الفئة الاجتماعية التي ينتمي إليها الروائي»[4].

"فمحمد عزام" يجعل الشخصية في حيز اجتماعي حيث إنها جزء من المجتمع وصورة للحالة الاجتماعية، ويدمج ذاتيته مع مجتمعه تحت سقف واحد، وهذا راجع إلى

[1] المرجع السابق، ص22.

[2] المرجع السابق ، ص22.

[3] المرجع السابق ، ص23.

[4] محمد عزام، شعرية الخطاب السردي دراسته، من منظورات اتحاد الكتاب العربي، دمشق، 2005، ص20.

تصوراته الإدراكية التي هي نابغة من أفكار مجتمعه، فلا وجود للفرد دون جماعة، فالفرد بمثابة منبه فعال والناطق باسم الجماعة.

- الشخصية هي مجموعة تأثيرات الفرد في المجتمع.
- الشخصية هي الأعمال التي تؤثر في الآخرين.
- الشخصية هي مجموعة التفاعلات الداخلية في الإنسان، تظهر على سلوكه الخارجي وتنعكس على تصرفاته في مواجهة الأحداث التي تعتريه، وكذلك في مواجهة الأفراد المحيطين به، فيؤثر ويتأثر بهم.

« الشخصية هي تلك الميول الثابتة عند الفرد والتي تنظم عملية التكيف بينه وبين بيئته»[1].

أما الشخصية الروائية فإنها تختلف عن الشخصية الحقيقية في شيء ويتفق معها في أشياء، والشيء الوحيد الذي تختلفان فيه أن الشخصية الروائية مختلفة غالباً وهي من صنع الكاتب أمّا الشخصية الحقيقية فإنها موجودة فعلاً في الحياة «فأن قدرة الشخصية على تقمص الأدوار المختلفة التي يحملها إياها الروائي يجعلها في وضع ممتاز حقا: بحيث يمكن تعرية أي نقص بواسطة الشخصية، وإظهار أي عيب يعيشه المجتمع»[2].

تكمن حركية الرواية في تقمص الشخصية للعديد من الأدوار التي يوكلها لها الروائي فتستطيع إظهار وإبراز العيوب المتفشية في المجتمع.

«إن الشخصية الروائية فوق ذلك تعتبر العنصر الوحيد الذي تتقاطع عنده كافة العناصر الشكلية الأخرى بما فيها الإحداثيات الزمنية والمكانية الضرورية لنمو الخطاب الروائي وأراده»[3].

[1] سوسن شاكر مجيد، اضطرابات الشخصية (أنماطها – قياسها)،دار صفاء للنشر و التوزيع عمان ، ط1،2015،ص23.

[2] عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، سلسلة كتب ثقافية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، ديسمبر 1998، ص79.

[3] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية)، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1990، ص20.

2- أنواع الشخصية:

الشخصيات البشرية مختلفة ومتعددة، ولكل منها صفات ومميزات تخصها. وجاء علم النفس ليدرس سلوكيات هذه الشخصيات وصفاتها والتعرف إلى طباعها، بالإضافة إلى كيفية التعامل معها من أبرز أنواع الشخصيات التي صدرها علم النفس نذكر:

أ- الشخصية السوية:

في بحثنا عن الشخصية السوية وجدنا هذا التعريف الذي يعرفها بأنها « الشخصية التي يتوافق فيها الفرد مع نفسه ومع بيئته ويشعر بالسعادة بعد تحقيق أهدافه وفق فلسفة سليمة للحياة، والسلوك السوي وهو السلوك العادي، أي المألوف والغالب على حياة غالبية الناس، والشخص السوي هو الشخص الذي يتطابق سلوكه مع سلوك الشخص العادي في تفكيره ومشاعره ونشاطه، ويكون سعيداً ومتوافقا شخصياً وانفعالياً»[1].

ومن وجهة نظر ديننا الإسلامي وقرآننا الكريم فإن الشخصية السوية هي:

- الشخصية المؤمنة بالله والقدر خيره وشره واليوم الآخر: هي التي تعمل عملا صالحا وتتواصى بالحق والصبر، قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ(1) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ(2) إِلاَّ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَبْرِ﴾[2].

وقال أيضا قال تعالى: ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لاَ رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللهَ لاَ يُخْلِفُ الْمِعَادَ﴾.[3]

كما تعرف الشخصية المؤمنة بأنها: «التي من سيماتها الإيمان بالعقيدة والعبادة، ولها علامات اجتماعية وأسرية مميزة، وتعامل الآخرين بالحسنى، فضلا عن تحليها بالسيمات الخلقية التي أمر بها الدين الإسلامي، والسيطرة على انفعالاتها، واعتمادها على العقل والتفكير في خلق الله»[4]

---

[1] حسين حمزة، أنماط الشخصية أسرار وخفايا، دار كنوز المعرفة،الأردن-عمان، ط1، 2014، ص66.

[2] سورة العصر، المصحف الشريف.

[3] أل عمران، الآية رقم (9)، المصحف الشريف.

[4] منتهى مطشر عبد الصاحب، أنماط الشخصية، ط1، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، 2011، ص26.

ب- الشخصية الكاريزمية:

أما عن الشخصية الكاريزمية وجدنا أن «"الكاريزما" كلمة إغريقية الأصل تعني الهبة الإلهية أو المنحة الربانية التي ينعم بها بعض الناس، وهي الجاذبية العظمى والحضور الفائق والقيمة الطاغية التي يتمتع بها هؤلاء، وصاحب هذه الشخصية مؤثر ودود ويتمتع بسلطة فوق الحدود، فهي شخصية تثير الإعجاب والولاء والحماس، ولها فتنة غير عادية أي أنها لها القدرة التي يمتلكها الفرد للتأثير على الآخرين والارتباط بهم ثقافيا وعاطفيا ونفسيا»[1]

والشخص الكاريزمي هو شخص يبقى عالقا بالذاكرة حبا أو كرها، ويتميز بقدرات لامتناهية، وأهمها السيطرة على المجتمعات والشعوب والأفراد، له تلك النغمة الهائلة ما يجعله زعيما يتسم بقوةٍ خارقةٍ وقدراتٍ روحيةٍ نادرة.

فالشخصية الكاريزمية، لها سحّر خاص لا يحس به الناس العاديون، وإنما هو سحر يسحر الشعوب والأفراد حتى العشق والوله وقد يدمرها أو يعمرها كما فعل هتلر.

وصاحب هذه الشخصية يتصف بسرعة البديهة، مثقف بلا حدود، ومن أبرز صفاته التحدي، التغيير، التجدد الدائم، وله ثقة عالية بالنفس وقدرة خارقة على الإقناع وقد يكون إنساناً طيباً وخيّراً يفيد المجتمع، وقد يكون إنساناً شريراً مدمراً له، وفي كلا الحالتين إنه العنصر المؤثر في المجتمع سلبا أم إيجابا، ومن أمثلة هذه الشخصية الرئيس "جمال عبد الناصر" والرئيس "صدام حسين".

ولا شك أن لكل إنسان الإمكانية على اكتساب جماهيرية خاصة، ومدروسة ولكن يصعب على معظم الناس اكتساب كاريزما تتضمن ولاء الجماهير والسيطرة الروحية الكاملة.

ت- الشخصية الانبساطية:

الانبساط هو الانشراح والسرور، ولهذا«الشخص المنبسط هو ذلك الشخص الذي يقبل على الدنيا في حيوية وعنف وصراحة ويصافح الحياة وجهاً لوجه، ويلائم بسرعة بين نفسه والمواقف الطارئة، ويعقد بين الناس صلات سريعة، فهو لا يحفل بالنقد، ولا يهتم كثيراً بصحته أو مرضه أو هندامه وبالتفاصيل والأمور الصغيرة، وهو لا يكتم ما يجول في نفسه من انفعال، ويفضل المهن التي تتطلب نشاطاً وعملاً واشتراكاً مع الناس»[2].

[1] حسين حمزة، أنماط الشخصية أسرار وخفايا، دار كنوز المعرفة،الأردن-عمان، ط1، 2014، ص67.

[2] المرجع نفسه، ص71.

وعرف "أيزنك" الشخص الانبساطي بأنه «الشخص ذو الميول الاجتماعية والانفعالية والمرح والتفاؤل، ويكون توجيه الذات خارجيا، ونشاط المنبسط في الغالب سلوكه».[1]

وقد قسم يونك الشخصية الانبساطية إلى أربعة أنواع فرعية وهي:

- «**الانبساطي التفكيري:** عملي، واقعي، يهتم بالحقائق الموضوعية، مبتكر.
- **الانبساطي الوجداني:** انفعالي، متوافق اجتماعيا، مندفع.
- **الانبساطي الحسي:** جزوع، يحتاج إلى الإثارة الخارجية، يستمد اللذة من خبرته الحسية.
- **الانبساطي الإلهامي:** مغامر، مجدد، مندفع، متهور يعتمد على الحدس»[2].

وبالتالي نقول أن الشخصية هي التي تتواصل مع الناس من أجل العيش، حيث تمثل العلاقات الاجتماعية الأكسجين اللازم لبقائها على قيد الحياة؛ وهي شخصية إيجابية ونشيطة ومليئة بالطاقة، ودائمة التبسم والحركة، وعفوية وصادقة ومتعاونة مع الآخرين إلى أقصى الحدود.

ث- الشخصية الانطوائية:

الانطواء هو الانزواء والتقوقع والبعد ومن المفاهيم نجد«الانطوائي نسبة إلى الانطواء والمقصود به الانطواء الذاتي أو الانكفاء على الذات وهو مفهوم اصطلاحي استخدمه "يونك" للدلالة على اتجاه الاهتمام صوب الداخل وإلى الذات بدلاً من التوجه نحو العالم الخارجي والناس والأشياء.

وهو نوع من أنواع الشخصية تتحكم في صوغه عوامل الوراثة والبيئة ويتصف الشخص الذي يتسم بهذا النوع بعزوفه عن العالم الخارجي وعيشه في عالمه وأخيلته ومشاعره ومثله العليا الخاصة به، وهو متردد وخجول وحساس ويتميز بقلة النشاط وعدم الثقة بما يحيط به، ويتركز كل اهتمامه في ذاته، وتتصف علاقته مع الآخرين بالضيق والعمق»[3].

[1] المرجع السابق، ص71.

[2] المرجع السابق، ص72.

[3] المرجع السابق، ص75.

ولو تأملنا في نمط هذه الشخصية الإنسانية الانطوائية لوجدنا أنه يتحاشى الاتصال الاجتماعي، ويتميز برغبة عالية إلى الانعزال والوحدة مع وجود واستمرار حالة التأمل حتى أنه لا يفضل صاحب هذه الشخصية التماس مع الواقع ويتجنبه، إذ أنه يرى في الواقع عقبة أمامه دائما، وحاجزاً نفسيا من الصعب اجتيازه، ويحاول جاهداً مع نفسه تجنب الواقع بكل ما استطاع وبأية وسيلة ممكنة.

«إن الشخصية الانطوائية وبكل ما تحمله من سمات وصفات وخصائص، هي شخصية حساسة المزاج، وقد تظهر هذه الحساسية بانفعال ظاهري سريع، رغم أنه قد يكبت انفعالاته إلى حد ما في نفسه أثناء وخلال التفاعل الحذر مع الآخرين، وهذا ما يدفعه إلى الابتعاد أكثر عن الاختلاط بالناس وممارسة حياته في الواقع بشكل أكثر طلاقة وتحررا وتتشابه الشخصية الانطوائية إلى حد كبير مع الشخصية الشيزية الفصامية من حيث الابتعاد والانطواء والانعزال»[1].

ج- الشخصية النرجسية:

يمكن تعريف النرجسة على أنها أحد اضطرابات الشخصية التي يتبع فيها الشخص نمط حياة أناني، حيث يضع فيها احتياجات الذات فوق احتياجات الآخرين ويتوق إلى اهتمام واعجاب الآخرين به.

وقد قيل أن: «النرجسية نسبة إلى نرجس صاحب الأسطورة اليونانية الذي أُغرم بحب نفسه. ويقول علماء النفس أن النرجسية هي اتجاه عقلي يمكن أن يحول بين الفرد وبين أحرار النجاح في إقامة علاقات سوية متوازنة مع الآخرين.

وبناءً على ذلك فالنرجسية نمط من الأنماط التي يتشبث بها البعض منذ بداية تكوين الشخصية خلال مراحل الطفولة الأولى ويقوى هذا العامل المؤثر في الفرد حينما يجد الإجابة والتدعيم والتعزيز من قبل الأبوين حتى يبدو جزءً واضحا من مكونات الشخصية في المراحل اللاحقة في البلوغ والرشد، وتكون تعاملاته ذات طابع أناني بشكل ملحوظ»[2].

فصاحب هذه الشخصية يشعر بالعظمة في الخيال والسلوك، فضلا عن الحساسية المفرطة في الرؤية والتقييم للآخرين، فالكل يراهم بعين الاستصغار أو أقل منه دائما،

[1] المرجع السابق، ص76.

[2] المرجع السابق، ص79.

وصاحب هذه الشخصية لا يحمل أية مودة للآخرين، ويفتقر للعاطفة أو الحنان تجاه أي إنسان فهو يحمل جزءً كبيراً من الأنانية، أي محبة الذات المفرطة

ح- الشخصية القلقة:

من خلال بحثنا في أمهات الكتب عن مفهوم الشخصية القلقة وجدنا هذا التعريف: «هي الشخصية الحساسة المترددة الدقيقة الخائفة من الخطأ، تميل إلى المثالية أيما مثالية تحتاط لكل شيء لأنها تسعى إلى التميز دائما، تخاف خوفا شديدا من الوقوع في الخطأ وكذلك من المستقبل، وتفقد الاستمتاع بالحاضر ... الشخصية القلقة تنشغل بتوترها عن الحلول، فتستمر المشكلة ويستمر القلق»[1].

وتتميز الشخصية القلقة بعدة مميزات أهمها هو أن «الشخصية القلقة يغلب عليها صفة شعور الفرد بعدم الارتياح، وتوقع المواقف الخطيرة دائما أو توقع الأسوء دوماً، هذا الخطر قد لا يكون محدداً من موقف بعينه، أو حالة مواجهة معينة مع حدث أو شخص أو طارئ وإنما من مصدر ما غير واضح أو ربما يكون التوقع من مصدر واضح لكن رد الفعل دائما يكون أكثر شدة وقلقاً للفرد حتى أنه يتعايش مع القلق ويعيش معه ويكاد أن يشكل معظم يومه بل حياته»[2].

ويتميز صاحب هذه الشخصية في الاستعداد والتحفيز الدائم توقعا للخطر وتأهباً لملاقاته وتجنبا له، حتى أن صاحب هذه الشخصية يخشى القيام بأي عمل أو فعالية تتطلب تحمل المسؤولية خوفاً من العواقب المترتبة عليها أو المتوقعة.

خ- الشخصية الشكاكة:

الشك صفة طبيعية غريزية في البشر بصفة عامه وبالتالي: «الشخصية الشكاكة هي إحدى أنواع الشخصية تتوافق في الوضع الطبيعي مع عامة الناس، وبنفس الوقت نجد أن كل الناس لديهم قليلاً من الظن، ولكن حينما يزيد هذا الشك والظن إلى حد أكبر من المعتاد فإنه يصبح حالة مرضية»[3].

[1] عصام يوسف، تحليل الشخصيات وأسرار تطويرها، دار الورشة، بغداد، 2021، ص84.

[2] حسين حمزة، أنماط الشخصية أسرار وخفايا، دار كنوز المعرفة،الأردن-عمان، ط1، 2014، ص86.

[3] المرجع نفسه، ص90.

وعند تعرضنا إلى خصائص الشخصية الشكاكة في بحثنا وجدنا أنها متصلبة صعبة في تقبل الرأي الآخر، لأنها تعود دائما إلى مقاييس سابقة مترسخة في الذهن يستحيل التنازل عنها وللشخصية الشكاكة عدة صفات فهي:« تتصف بالحساسية الزائدة وسرعة التأثر والانفعال، والشخص الشكاك ينفعل سريعاً ويتأثر بالموقف بأول علامة تصدر من الشخص المقابل حتى لو كانت غير مقصودة أو بحسن نية، لهذا يجد صعوبة كبيرة في إقامة علاقات دائمة وموفقة وناجحة مع الآخرين، ويصل الأمر به بعد فترة في أن يجد نفسه معزولا عن المجتمع، وهذا يزيد من متاعبه النفسية وشكوكه بنفسه وبالآخرين. وصاحب الشخصية الشكاكة لديه صراعات داخلية وإحباط في حياته الاجتماعية مع شعور بالنقص فضلا عن النقد الذاتي الذي كثيراً ما يواجهه إلى ذاته ويلومها دائما، حتى يصل به الأمر بأن يصدق ما ينسجه من خيالات وأوهام»[1].

د- الشخصية الاعتمادية:

يتميز الشخص الاعتمادي بضعف الثقة بالنفس والسلبية والخوف من التعبير عن المشاعر، سواء كانت سلبية أم إيجابية ولهذا فإن « الشخصية الاعتمادية تتميز بالافتقار التام إلى الثقة بالنفس والاعتماد عليها حتى كادت تطغى على هذه الشخصية مشاعر العجز الشامل وعدم القدرة على حل أبسط مشكلة تواجهها، واتخاذ قرار مناسب، ويقول علماء النفس أن الشخص ذو الشخصية الاعتمادية لا يتحمل المسؤولية ويظل سلوكه طفوليا ويميل إلى التعلق بالآخرين، كما يفعل الطفل المعتمد على والديه.

وعند قراءتنا التحليلية لهذه الشخصية نجد أن هذه الشخصية نمت منذ صغرها على الرقة والتدليل الزائد وتلبية كل المتطلبات دون استثناء.

يكون صاحب الشخصية الاعتمادية خائفا، منسحبا من أي مواجهة أو موقف يمكن أن يثير العداء، فهو يهاب ويتراجع بسهولة وهو سلبي أيضا في اتخاذ القرار، ويلجأ إلى الاستشارة حتى توافه الأمور ومن الأم أو لا، وهي تقرر ذلك دائما، وإن حلت الزوجة بديلا تكون هي الأخرى صاحبة القرار وهو المنفذ، يرتبك عندما يكلف بأي مجهود، أو يواجه أي إجهاد أو مشكلة»[2].

---

[1] المرجع السابق، ص90.

[2] المرجع السابق، ص95،96.

ذ- الشخصية الهستيرية:

الشخصية الهستيرية هي حالة نفسية تتميز بنمط من البحث المفرط عن الاهتمام إلى تلقي الإعجاب، وجلب الانتباه فهي تسعى دائما إلى أن تكون محور انتباه الآخرين ونمط هذه الشخصية هو: «نمط يقترن دائما بمفهوم عدم النضج والنمو العاطفي، أي فقدان الاتزان العاطفي في الشخصية، ونقصد هنا الثبات في العاطفة مع سطحية واضحة في الانفعالات فالشخصية الهستيرية من السهل لديها أن تتلون مشاعرها، وتتغير بالسرعة والتغلب، كما أننا نلاحظ في أغلب الأحيان أن صاحب هذه الشخصية يبدو لنا وكأنه ذو عواطف قوية معبرة وتضحي، إلاّ أنه سرعان ما تخمد وتتوارى وتتبخر وتبحث عن موقف آخر به عواطف أخرى بديلة، كذلك نلاحظ التذبذب والسرعة في اكتسابها وبنفس الوقت السرعة في فقدانها فالشخص ذو الصفة الهستيرية يتميز بعدم القدرة على إقامة علاقة ثابتة لمدة طويلة نظراً لعدم قدرته على المثابرة ونفاذ الصبر السريع.

فمن مميزات الشخصية الهستيرية تعدد المعارف والصداقات السريعة، وحب الاختلاط، ولكن يتميز دائما بالتغير وعدم الثبات، فضلا عن هذه الكثرة من العلاقات إلاّ أنها تظل سطحية ولا تأخذ العمق الكافي من الثبات، وما يميز هذه الشخصية سرعة تأثرها الواضح بأحداث الحياة اليومية والأخبار المثيرة، واهتمامها بما يدور بين الناس من همس حتى أنها باتت تهتم بـ "القيل والقال"، ويؤثر ذلك تماما على اتخاذها القرارات، فتخضع كل قراراتها إلى الناحية المزاجية الانفعالية أكثر من الناحية الموضوعية العقلانية.

ومن المثير في هذه الشخصية أيضا الاستعراضية الزائدة وحب الظهور الذي يقترن بالأنانية دائما فصاحب هذه الشخصية من الرجال أو النساء لديه ميل مرتفع نحو استجلاب الاهتمام والعمل الدؤوب ليكون محور الارتكاز، فهو ينظر إلى كل الأمور نظرة ذاتية.

كما أن نمط الشخصية الهستيرية عرضة للتذبذب الانفعالي الوجداني، فهو يعيش حالة المرح والنشوة والحماس القوي وينقلب فجأة إلى الاكتئاب والانطواء والرغبة في محاولة الانتحار، وهذا ما يجعل حالة التغير السريع والمفاجئ سمة من سمات الشخصية الهستيرية التي تنعكس على حياته الأسرية»[1].

[1] المرجع السابق، ص98،99.

وما يميز أصحاب الشخصية الهستيرية بشكل واضح وملحوظ عدة مميزات أهمها« القدرة على الهروب من مواقف معينة من خلال التحلل من شخصيتهم الأصلية واكتساب شخصيات أخرى تتلاءم مع الظروف الجيدة، كما يتطلب أحيانا من الممثل أو الممثلة أن تعيش في شخصية البطل أو البطلة يومياً لمدة ساعات بإجادة تامة، فالشخصية الهستيرية لها القدرة على تقمص الشخصية المتخيلة واندماجها مع الشخصية التي تقوم بالدور عنها ويتطلب ذلك انفصالها عن شخصيتها الأصلية وهو ما تتميز به الشخصية الهستيرية كما يقول علماء النفس»[1].

ر- الشخصية الناقصة (المحدودة):

كثيرا ما يتحدث الناس عن أشخاص لديهم عقدة نقص واضحة، وبالتالي فالشخصية الناقصة « هي شخصية لديها عقدة نقص واضحة، وتبدو بشكل ظاهر وملموس لعامة الناس لا للمتخصص في علوم النفس فحسب، بل لدى أبسط الناس، وهذه العقدة هي سلوك ويعرف بأنه كل ما يصدر عن الفرد من استجابات مختلفة إزاء موقف يواجهه أو إزاء مشكلة يحلها، أو قرار يتخذه أو مشروع يخطط له، أو أزمنة نفسية يكابدها، فالسلوك هو مفتاح معرفة الشخصية بما تحمل وما يدور بداخلها.

ويقول علماء النفس أن الكثير من الناس يعانون من نقص أو آخر في كيان شخصيتهم، وقد يستطيع الكثير منهم التقليل من مظاهر النقص وشعورهم بوجوده عن طريق التعويض بصورة ما عن توفر مثل هذا النقص، وقد تكون محاولتهم للتعويض ناجحة إلى الحد الذي يقلل الانطباع في نفوسهم وفي أذهان الناس الآخرين عن النقص الذي يعانونه غير أن هناك بعض الناس الذي يظهر النقص في التكوين الكلي لشخصيتهم.

كما أننا نشاهد أن الفرد الذي يتميز بالشخصية الناقصة، يعلن دائما ويقوم بتضخيم أعماله وعطاءاته، وتكبير المساعدة وتجسيمها إلى الحد الذي يصبح معيباً وكأنه منية لإعطاء الله بدون مقابل، وهو بحد ذاته شعور بالنقص والضآلة»[2].

ومن مظاهر الشخصية الناقصة هي كون صاحبها لا يستطيع توفير القدر الكافي من الاستجابات الضرورية في مجال العاطفة والحركة التفاعلية في العلاقات الاجتماعية

[1] المرجع السابق، ص100.

[2] المرجع السابق، ص103.

وبهذا فهو يعاني من عجز دائم في مواجهة التزاماته الحياتية ضمن أسرته وعائلته الأوسع أو في مجتمعه، وهو بسبب هذا العجز يجد نفسه مضطراً لاتخاذ مرتبة أدنى في التعامل مع الآخرين، ويقبل لنفسه مرتبة الخضوع والخنوع.

وقد وجدنا عدة مميزات لأصحاب الشخصية الناقصة منها « من يتجه نحو الانسياق إلى خدمة الغير في مجالات الانحراف والابتذال، وتقديم الخدمات الرخيصة على حساب شرفهم وسمعتهم.

إننا إزاء أنموذج تعارف عليه الناس ولمسوه في التعامل تماماً، حتى أنه أصبح مألوفاً في حياتنا اليومية، هذا النمط من الشخصية حمل الكثير من الصفات، فهو يشعر بالنقص حتى لو امتلك الأموال والبيوت والعمارات والسيارات الفاخرة، ونجح في العمل التجاري، أو حقق ذاته في الحصول على أعلى المستويات العلمية أو السلطة وزمام الأمور في حياته.

ومن مميزات الشخصية الناقصة نذكر:

- يستحقر ذاته وعديم المعرفة بالإجابة الصادقة حتى عند حصول الإطراء والثناء.
- يشعر بالذنب دائماً، حتى ولو لم يكن هناك علاقة بالخطأ.
- يعتقد بشكل لا شعوري بعدم الاستحقاق لهذه المكانة أو العمل.
- يميل إلى سحب أو تعديل رأيه خوفا من السخرية أو الرفض»[1].

وأصحاب الشخصية الناقصة «يحملون أنفسهم على التميز، فتراهم يمشون ببطء متطأطئين رؤوسهم بحيث يبدون غرباء عن العالم، ويحاولون الانكماش على أنفسهم، فلا يريدون أن يراهم الآخرين، وهناك صفات أخرى تكاد تميز هذه الشخصية عن غيرها، وهي:

- القلق والتوتر – الاحتمال المتزايد للاكتئاب– تدني التحصيل الدراسي.
- الشعور الدائم بالدونية»[2].

وخلاصة القول أن معظم الذين يعانون من هذا النمط من الشخصية يتقبلون لأنفسهم مكاناً هامشياً، ثانوياً في الحياة، وهم يعيشون عالة على الآخرين ويتطفلون بدون أن يجدوا في ذلك أدنى حياء أو يحرك في أنفسهم وازعاً لاحترام أنفسهم.

[1] المرجع السابق، ص104.

[2] المرجع السابق، ص105.

وبهذا نقول أن الشخصية الناقصة اضطراب نفسي وحالة مرضية نفسية مصابة بما يعرف بعقدة النقص.

ز- الشخصية الشيزية (الفصامية):

غالبا ما يوصف الأشخاص ذوي الشخصية الشيزية بأنهم غريبو الأطوار، ولديهم القليل من العلاقات، وبتعمقنا في هذه الشخصية بأنها«مختصر لكلمة شيزوفرينيا أي الفصام، وخصائص الشخصية الشيزية (الفصامية) تشبه إلى حد كبير نمط الشخصية الانطوائية مع الفارق في وجود المظاهر العاطفية المتمثلة في الحساسية الزائدة وسرعة الحساسية العاطفية»[1].

كما أن للشخصية الشيزية سيمات ومميزات تتصف بها وتميزها عن غيرها من الشخصيات هي « أنَّ صاحبها حساس، عنيد شكّاك، كتوم، فضلا عن أنه قليل الرغبة في إقامة صلات اجتماعية وصداقات واسعة، ويبتعد دائما عن المشاركة الجماعية وفي ممارسة الألعاب الجماعية أيضاً ويحاول أن يفضّل الكتاب على الناس، وكثيراً ما وصف الأهل صاحب الشخصية الشيزية في طفولته بأنه كان أشبه بالملاك: (هادئ، غريب الأطوار حتى أنّه يشعر بغموض وصعوبة في التعبير عن أفكاره).

كما أن صاحب الشخصية الشيزية له ميل حاد نحو الدراسات الغيبية، وله ولع بها كذلك، له اهتمام كبير بالفلسفة والدّين وعلم النفس واللاّهوت، وإذا ما أتيحت له فرصة العمل السياسي فإنّه ينتمي للأحزاب السياسية النادرة المتعصبة، والتي ترضي فيه عدم القدرة على الالتزام بمعنى محدد، إنه كثيراً ما يشكو صعوبة القدرة على فهم الموضوعات المتعلقة بالتفصيلات التافهة مع ضعف واضح في قدرته على اتخاذ القرارات.

ومن صفات الشخصية الشيزية أنه يتوقف عن التفكير وهو يتحدث أو أثناء حديثه ثم يبدأ الكلام ثانية في موضوع آخر، كما أن صاحب الشخصية الشيزية يمر بعدة أنواع من الانفعالات منها: (تأخر الاستجابة الانفعالية مع نقص في شعوره بالألفة والعطف والحنان مع أفراد أسرته أو أصدقائه، ارتباك الانفعالات، فأحيانا يستجيب بشكل لا إرادي إلى العناد والصلابة والتحكم في الرأي والإصرار عليه)»[2].

---

[1] المرجع السابق، ص106.

[2] المرجع السابق، ص107-108-109.

ومن أهم صفات صاحب الشخصية الشيزية تفضيله الانسحاب من المجتمع، والميل إلى العزلة والانطواء.

س- الشخصية السايكوباتية:

من خلال البحث في الشـــخصية الشخصية الســايكوباتية وجدنا بأنها « من أكثر الشخصيات تعقيدا وأصعبها تشخيصا وتعرفا على صاحبها، والسبب يكمن في أن الشـخص السايكوباتي يجيد التمثيل وله قدرة فائقة في التأثير على الآخرين، بل والتـــلاعب بأفكارهم وبالرغم من أن السايكوباتي لا يُظهر أعراض المرض العقلي؛ لأنه غالباً لا يعاني منه إلا أن سلوكه الاجتماعي لا يقل خطورة عن أسوأ الأمراض العقلية الأخرى»[1].

أما فيما يخص نموها « فالسايكوباتية تنمو وتتطور ضمن نمط من السلوك غير الاجتماعي وغالبا في فترة مبكرة من العمر، قبل سن 16 سنة، فهي شخصية ترفض القواعد السلوكية للمجتمع، وغالباً ما تتخذ لنفسها أعرافا وقواعد تتضمن تحقيق رغباتها الغريزية بأي أسلوب كان.

فالشخص السايكوباتي ببساطة هو شخص فاسد، يمثل منتهى البشاعة والتشويه الخلقي والوحشية، والنزعة إلى الشر، فهو مفترس لا يمكن إيقافه أو علاجه، ويخطط لسلوكه العنيف بصورة متعمدة، ويحقق أهدافه بأسلوب يخلو من كل عاطفة وانفعال وببرود تام وبراحة واطمئنان.

وصاحب هذه الشخصية من الصعب أن تجد سببا لدوافعه، فقد لا تجد أيّة روابط بينهم وبين ضحاياه، ويستمر صاحب هذه الشخصية في سلوكه العدواني العنيف إلى مراحل متقدمة في العمر إلى أن يبلغ 60 سنة من عمره أو أكثر، ومن ثم يتناقص تدريجيا سلوكه العدواني العنيف وقد يعود ذلك إلى اختلال الذاكرة التي ملأتها السنين بالأوهام»[2].

وللشخصية السايكوباتية أنماطا تتميز كل منها عن الأخرى ويمكننا تمييز هذه الأنواع على النحو التالي:

[1] عصام يوسف، تحليل الشخصيات وأسرار تطويرها، دار الورشة، بغداد، 2021، ص78.

[2] حسين حمزة، أنماط الشخصية أسرار وخفايا، دار كنوز المعرفة،الأردن-عمان، ط1، 2014، ص110.

- «**السايكوباتية ذات المزاج المعتدل:** صاحب هذه الشخصية سريع الغضب الشديد إلى درجة التطرف ويمكن إثارته بسهولة ولأبسط الأسباب، وهو مغامر في أفعال البشعة مثل القتل والاغتصاب.
- **السايكوباتية الكاريزمية:** وصاحب هذه الشخصية كاذب كبير، ويتمتع بشيء من الذكاء الذي يستخدمه لمصلحته من أجل تحقيق أهدافه، ويمتلك قدرة عجيبة في إقناع الآخرين.
- **السايكوباتية الرئيسية:** وصاحب هذه الشخصية لا يكترث للعقوبة، ولا يخشى أي شر مرتقب، ولا يعاني من أي ضعف نفسي، ولا يستهجن أي شيء.
- **السايكوباتية الثانوية:** وصاحب هذه الشخصية مغامر، متأثر بضغوط الحياة اليومية ومن القلق، غير أنّه جسور وجرئ ومخاطر لا يبالي للأعراف»[1].

ش- الشخصية المتصلبة (المتطرفة):

الشخصية المتصلبة حسب رؤيتنا هي الشخصية العصبية وهي منتشرة في عصرنا الحالي انتشارا كبيرا، ومن تعريفاتها«الشخصية المتصلبة في معناها العام هي الشخصية التي يكون الشعور السريع بالغضب من أهم سماتها، ويكون هذا الغضب ناتجا عن: مشكلات في التواصل مع الآخرين، مثل سوء فهم الأشخاص الآخرين لها، ومشكلات نفسية أو شخصية»[2]. ومن تعريفاتها،«هي شخصية عاجزة عن التشكيل والتكييف للمواقف الجديرة أي العجز عن القيام بالسلوك الملائم ضيقة وفقيرة في الاستجابات العقلية التوافقية، فيواجه الشخص المتصلب المواقف المختلفة بأسلوب عقلي أو سلوكي محدد»[3].

أما من ناحية التوافق«الشخصية المتصلّبة هي التي تعجز عن التوافق مع المواقف الجديدة، أي أنّها تكون عاجزة عن القيام بالسلوك الملائم، إزاء المواقف المختلفة والجديدة»[4].

---

[1] المرجع السابق، ص111-112.

[2] عصام يوسف، تحليل الشخصيات وأسرار تطويرها، دار الورشة، بغداد، 2021، ص55.

[3] حسين حمزة، أنماط الشخصية أسرار وخفايا، دار كنوز المعرفة،الأردن-عمان، ط1، 2014، ص113.

[4] المرجع نفسه، ص114.

وبما أن لكل شخصية صفات ومميزات فإن الشخصية المتصلبة «تتصف ببعض الصفات السلبية أو العيوب، ومنها أنها شخصية غير متسامحة، تميل للمحافظة والتسلّط والانضمام للأحزاب والحركات المتطرفة واستخدام العنف والعدوان، والشخص المتصلب يتميز بصلابة الرأي والعناد ويكون فكره جامد وغير منفتح»[1]

ص- الشخصية الاغترابية:

كثير منا يسمع عن الاغتراب واستخداماته في الحياة المعاصرة، وإذا كانت الكلمة في ذاتها لها تاريخ قديم من الفكر الديني، وبخاصة المسيحي والإسلامي والعصور الوسيطة حيث اهتموا باستخدامات الكلمة.

أما أول من استخدم هذا المفهوم علميا ومنهجيا هو (هيجل) في كتابه الموسوم بـ(فينومينولوجيا الروح)، وعليه « إنّ الشخصية المغتربة أو التي تشعر بالاغتراب تعدّ مأساة الإنسان المعاصر في عالمنا اليوم فهي تعيش صراعا بين أكون أو لا أكون، في سياق هذه الأزمة الإنسانية المحتدمة في حق الوجود والعيش برضى وهدوء، كما تقوم جدلية هذا النّمط من الشخصية على صراع يتمركز في:

- أنا أفكر ... إذن ... أنا موجود.
- أنا أفكر ... إذن ... أنا قلق.
- أنا قلق ... إذن ... أنا موجود.

أفكر حيث لا أوجد، أو أوجد حيث لا أفكر معبراً عن: "إن الإحساس بالوجود لا يتحقق في الذاتية – انطلاقا من الذات أو التفكير- وإنما يحصل الإنسان على الإحساس بوجوده من خلال الآخر وفي الأخير وبالآخر يقول (نيفين زيور)".

لا تجد الشخصية المغتربة في الواقع الذي تعيشه نفسها بل تجد نفسها غريبة في مجتمعها، غريبة في ذاتها، لم تجد الآخر الذي هو وجوده انعكاسا انسانيا في علاقته بالآخر، فيقول "مصطفى زيور" فوجودي وقد عثرت عليه مشوّب بالغيرية إنَّه وجود واغتراب معاً من حيث العثور على الوجود داخل الاغتراب في الغريب حقاً، إنّه ليس اغتراباً شاملا من حيث أن الآخر إنما هو أنا»[2].

[1] المرجع السابق، ص115.

[2] المرجع السابق، ص118.

أما فيما يخص علاقة الشخصية المغتربة بالآخرين فهي« تعاني العزلة عن الآخرين لفقدان لغة التواصل والتفاهم معها ويقول: "كير كجارد" قضية علاقة الفرد بالآخرين ضياع الإنسان في الحشد، هذا الحشد من البشر أو كما يسميهم بهائم البشرية حين يقول :"تدمج هذه الشخصيات أية قوة بدون العقل، سواء قوة الحشد أو الدين أو النظام السياسي"»[1].

ض- الشخصية الاستعراضية المتباهية:

الشخصية الاستعراضية هي المتباهية والمحبة للظهور وهي حالة من الحالة النفسية للشخصية، كما أنّ«الاستعراضية والتباهي حالات قد نتعلمها من المقربين أو الأهل في مرحلة من مراحل العمر الأولى حينما وجدنا آبائنا أو المقربين منّا يستعرضون قوتهم العضلية أو شخصياتهم أو مشاعر التفوق على الآخرين، فالاستعراضية هي إظهار صفات يتمنّى صاحبها أن تكون حقيقية في شخصيته وكيانه النفسي، ولكنها ليست كذلك وإنّما هي شعور بالدّونية»[2].

أما عندما نتحدث عن صاحب الشخصية المتباهية فإننا نسلط الضوء على يقين وهو «يقين تام أنّ من يتباهى ويستعرض ويضفي على ذاته المهزومة صفات غير موجودة فيها إنّما يبحث عن تعويض هذا النّقص الذي يدركه المتعلم، من دروس النفس أوله دراية في مسالكها، وإنّ صاحبنا الذي يستعرض يتمنى أن يكون هكذا ولو على مستوى التخيّل، ولكن الواقع غير ذلك إطلاقاً، إنّه مبتلى بالشعور بالدّونية، يتألم ويتعافى من إحساس عميق باللاّ أمن الذي يصاحبه الخوف والعجز، وبما أنه يتألم فهو يفتش عن حل، وهذا أمر منطقيّ جدّاً وكلّ منّا إذا أحس بهذه المشاعر في أي موقف فإنه يبحث عن شيء يبعد عنه شعور ليبعد الألم الناجم عنه.

يعرف الناس ذلك عنه، إنّه يناور من أجل أن يلاحظ الآخرون كل ما يقوم به، وينتظر منهم الإعجاب والمديح والثناء لأنّه يحتاج إلى ذلك معنوياً.

الشخص المتباهي، الاستعراضي يرفض بعنف قبول أي نصيحة، إنّه يتصف بروح المعارضة الشرسة أحياناً وكأنّها عزة نفس ولو كان مخطئاً»[3].

---

[1] المرجع السابق، ص119.

[2] المرجع السابق، ص120.

[3] المرجع السابق، ص121.

ط- الشخصية الإرهابية:

الدراسات النفسية تعرضت لشتى أنواع الشخصية بالإضافة إلى عرضها لنا «أن الارهاب صورة من صور العنف، وهو سلوك عدواني، وهي ظاهرة تأخذ منحى نفسي داخلي يعتمل في النفس الإنسانية حتى يصدر على فعل في الأماكن العامة، بقصد قتل أكبر عدد من الناس المسالمين أو رجال الدولة أو عامة الناس الأبرياء»[1].

وبالتالي يتجلى لنا التعريف المتمثل في أن «الشخصية الإرهابية هي نمط يتجسد في شخصية الفرد الذي يمارس السلوك العدواني أو الانتحار المبرمج، ويصفه أطباء النفس بأنه شخص يعاني من التجاهل والعزلة والحرمان والإحساس بالعجز.

ويمكننا أن نسند هذه الشخصية إلى نمط الشخصية السايكوباتية، وهي الشخصية المضادة للمجتمع»[2].

وكغيرها من الشخصيات لها خصائص «ومن خصائص هذه الشخصية المضادة للمجتمع: أنها ضعيفة الضمير فضلا عن اختفاء مشاعر الذنب، وكذلك الفشل في اكتساب الضوابط الداخلية، وتواجه هذه الشخصية الاحباط الذي يصيبها بالاندفاع والعدوان دون حساب النتائج حتى وإن كان سلوكه يؤدي إلى كوارث للآخرين».[3]

[1] المرجع السابق، ص92.

[2] المرجع السابق، ص93.

[3] المرجع السابق، ص94.

3- الشخصية من منظور علم النفس:

لا يوجد موضوع في ميدان علم النفس يسحر الألباب أكثر من موضوع الشخصية وقد أُجريت بحوث كثيرة حول الشخصية ونظرياتها، ولكن لم تستخلص استنتاجات نهائية بخصوص طبيعة الشخصية، فلو سألت رجلاً عن معنى اصطلاح الشخصية فإنه لن يكون مقتدراً أن يقدّم جوابا عن هذا السؤال البسيط في اصطلاحات واضحة محددة وذلك لأن الشخصية الإنسانية ظاهرة معقدة إلى حد يمكن تفسيرها بأساليب مختلفة.

وقد عرّف مصطلح الشخصية بطرق مختلفة من قبل علماء النفس الذين اشتغلوا في مشكلة الشخصية وفي المتغيرات التي تؤثر في تطورها.

ومن أهم تعاريف علماء النفس للشخصية هو«كون الشخصية من حيث قيمتها كمنبه أو باعث اجتماعي، أي كيف يؤثر الفرد في الأشخاص الذين يحتك بهم ويتعامل معهم سواء كان قادراً على التأثير فيهم أو أنه ثقيل المعشر، سواء أكان ذا شخصية قوية متسلطة أو أنه مذعن مستسلم، والشخصية من وجهة النظر هذه تصبح مطابقة للسمعة والانطباع وفي الغالب من حيث المظهر الجسمي، واللّباس والحديث والذوق الاجتماعي وآداب المعاشرة والسلوك وآداب الرسميات، وبصورة عامة نحن نستعمل هذا المفهوم للشخصية في انتقاء المتقدمين للمهن المختلفة فالمقابلات تأخذ بنظر الاعتبار الصورة الكاملة للسلوك المنظم للفرد»[1].

وعلماء النفس في نظرهم للشخصية حددوا نظريات لها، «وإن من يتعرض لنظريات الشخصية عليه أن يبدأ بفرويد (1856- 1939)، أو ينتهي به، فكما يعتبر فرويد أبو التحليل النفسي، فإنه يعتبر كذلك (أبو النظرية الشخصية)، ذلك أنّ الغالبية العظمى ممن كتب في هذا المجال، قد بدأ من المقدمات الأساسية التي أقامها فرويد، على نحو من كتابات "يونج" و"أدلر" من قدامى المحللين النفسيين، و"كارن هورني" و"سوليفان" من المحدثين.

[1] محمد محمود عبد الجبار الجبوري، الشخصية في ضوء علم النفس، مطبعة دار الحكمة،1990،ص18.

ولسنا في حاجة إلى إيضاح أن التحليل النفسي قد أحرز انتشار واسعاً لدى علماء النفس، بل ولدى غير المتخصصين في هذا المجال. وإن كان بعض علماء النفس يقفون عنه موقف المعارضة والنقد الشديد إلاّ أنه قد شقّ طريقه أيضا إلى مجالات أخرى غير علمية وفنية، على نحو ما يتمثل في كتابات كثيرة من الأدباء والفنانين في العصر الحديث.

ورغم ما أثير حول التحليل النفسي، وما وجه إليه من نقد، فقد أمدت حركة التحليل النفسي، علم النفس باتجاه دينامي في دراسة الشخصية، فكتابات فرويد تعتبر إحدى المحاولات الحقيقية الهامة في توكيد أثر اختبارات الماضي في تكوين الشخصية، فالشخصية في نظر فرويد هي تنظيم نفسي أشبه بالبناء، يتكون طبقة، وترتكز طبقاته العليا على طبقاته السفلى إلى حد بعيد»[1].

أما عن المبادئ التي تخضع لها شخصية الإنسان فهي «تخضع في نموها وتطورها من وجهة نظر "فرويد" لمجموعة من المبادئ أهمها:

- مبدأ اللذة: فقد ذهب فرويد إلى أن الإنسان تدفعه الرغبة في اللذة وتجنب الألم.
- مبدأ الواقع: فالإنسان لا يبحث فقط عن اللذة ولكنه أيضا مرتبط بحدود الواقع الذي يكشف له أنه في لحظة ما عليه أن يؤجل لذته العاجلة من أجل لذة أخرى أكثر أهمية.
- مبدأ الثنائية أو الازدواج: إن دراسة فرويد تؤدي بنا إلى القول بوجود قوتين متعارضتين دائما في حياة الإنسان، مثل الرجل والمرأة والحياة والموت ...
- مبدأ التكرار:وفي هذا المبدأ يؤكد فرويد دور العادة وتكرار الخبرات في سلوك الإنسان»[2].

وتتكون الشخصية حسب علماء النفس من ثلاثة نظم أساسية: « (الهو – الأنا – الأنا الأعلى) ورغم أن لكل جزء منها وظائفه وخصائصه ومكوناته ومبادئه، وديناميا‌ته وميكانزماته التي يعمل وفقا لها، إلاّ أنها جميعا تتفاعل معا تفاعلا وثيقا بحيث يستحيل تأثير كل منها عن الآخر وتقدير وزنه النسبي وسلوكه الإنساني، فالسلوك هو في الغالب محصلة تفاعل هذه الأنظمة الثلاثة، ونادراً ما ينفرد أحدها بالعمل دون الآخرين.

[1] محمد غنيم، سيكولوجية الشخصية، دار النهضة العمومية، ط1، 1975، ص538.

[2] المرجع نفسه، ص539، 545.

فالهو والأنا والأنا الأعلى هي النظم الأساسية لبناء الشخصية، فرغم أن خصائصها تكتب وتناقش مستقلة، إلاّ أنها بالفعل ليست وحدات منفصلة في الشخصية، فهي أنظمة متداخلة ومتشابكة بقوة فيما بينها في كل ما يقوم به الإنسان، إن لكل منها وظيفته، ولكن كلا منها لا يوجد أبداً مستقلاً عن الآخرين، فقط في حالة الطفل الصغير، أي حالة الذهاني يمكن أن نجد أحد هذه العناصر واضحاً بارزاً يعمل في اعتبار للآخرين»[1].

والشخصية عند علم النفس هي «تنظيم دينامي داخل الفرد، له قدر كبير من الثبات والدوام لمجموعة من الأجهزة الإدراكية والنزوعية والانفعالية والمعرفية والجسمية التي تحدد طريقة الفرد المميزة في الاستجابة للمواقف، وأسلوبه الخاص في التكيّف للبيئة بما ينتج عنه من توافق أو سوء توافق»[2].

إنّ الشخصية في نظر علم النّفس هي «النّمط المميز لسلوك الفرد وطريقة تفكيره بما يحدد توافقه مع بيئته، والسلوك نتاج التفاعل بين خواص الشخصية والأحوال الاجتماعية البيئية المادية، وتتحكم في السلوك عوامل داخلية (خواص الشخصية)، وعوامل خارجية (البيئة الخاصة)، وتتكون الشخصية على أساس تحكيمي اختياري – من قسمين كما يلي:

أ- **الجانب العام من الشخصية:** ويتضمّن أشكال التعبير والتعامل والعلاقات، وطريقة التفاعل مع ظروف الحياة والأشخاص المحيطين.

ب- **الجانب الخاص من الشخصية:** وهو الجزء الخفي منها، ويتضمن المشاعر والأفكار وأحلام اليقظة والتجارب الخاصة التي لا يشترك الآخرون فيها»[3].

4- الأمراض النفسية للشخصية:

الامراض النّفسية للشخصية هي اضطرابات نفسية تجعل المصاب بها يمتلك مشاعر وأحاسيس وتصرفات مختلفة عن المألوفة، بحيث تكون هذه التصرفات مزعجة للآخرين وتتسبب له بمشاكل في محيط العائلة والعمل، ويعاني الأشخاص المصابون باضطراب الشخصية صعوبات في التعامل مع الضغوطات الحياتية اليومية، كما يمكن أن يعانوا من اضطراب الشخصية دون أن يدركوا ذلك إلاّ بعد وقت طويل.

---

[1] المرجع السابق، ص 549.

[2] أحمد محمد عبد الخالق، أسس علم النفس، دار المعرفة الجامعية، ط3، 2000، ص450.

[3] المرجع نفسه، ص450.

وتصنّف اضطرابات الشخصية إلى ثلاث فئات:

أ- اضطرابات عصابية (العصاب):

عصابية نسبة إلى العصاب، و«العصاب هو اضطراب وظيفي في الشخصية (نفسي المنشأ)، يظهر في الأعراض العصابية، وهو ليس له علاقة بالأعصاب، وهو لا يتضمن أي نوع من الاضطراب التشريحي أو الفسيولوجي في الجهاز العصبي، وهو وظيفي الشخصية بين العادي والذهان، ويعتبره البعض صورة مخففة من الذهان.

كما أنه يوجد فرق بين العصاب والمرض، حيث أن المرض العصبي اضطراب جسمي ينشأ عن تلف عضوي يصيب الجهاز العصبي مثل الشلل النصفي والصرع.

ويصنف العصاب إلى: (القلق، الهستريا، الوسواس القهري، الاكتئاب التفاعلي) »[1].

- **القلق:** وهو شعور بعدم الارتياح، مثل التوتر أو الخوف، ويمكن أن يكون خفيفاً أو شديداً، وقد يتعرض له أي شخص، أما اضطراب القلق العام فهو حالة طويلة الأمد تجعلك تشعر بالقلق حيال مجموعة واسعة من المواقف والقضايا، بدلاً من حدوث واحد محدد، ويمكن أن يسبب أعراضا نفسية (عقلية) وجسدية.
- **الهستيريا:** مرض نفسي تتحول فيه الانفعالات المزمنة إلى أعراض جسمية ليس لها أساس عضوي، لغرض لدى الفرد أو هروباً من الصراع النفسي، أو القلق أو من موقف مؤلم بدون أن يدرك الدوافع لذلك.
- **الوسواس القهري:** هو اضطراب عقلي يتميز بنزعة لا يمكن السيطرة عليها لأداء أفعال نمطية غير عقلانية، فالوساوس هي فكرة أو صورة أو نزعة تتداخل على نحو متسلط ومثابر في وعي الفرد ضد إرادته وتسيطر على الوعي أو الشعور بحيث تعطل وتعيق الحياة الاجتماعية.
- **الاكتئاب التفاعلي:** هو اضطراب أو حدث مرتبط بظرف أو حدث تعرض له الشخص، وهو اضطراب مزاجي معقد من حيث أسبابه وأعراضه، كما أنه اضطراب نفسي قد يستمر عادة عدة أشهر، ويحدث بسبب موقف أو حدث معين مثل: فقدان الوظيفة أو إصابة ما، أو مشاكل مالية أو الشعور بالرفض...إلخ ومع ذلك فإنّ أيّ حدث يجده الفرد مرهقاً يمكن أن يؤدي إلى اكتئاب ظاهري.

[1] أحمد سمير صديق، اضطرابات الشخصية، كلية التربية، بوابة جامعة المينا الرقمية، مصر، 1999،ص9.

بالإضافة إلى "توهم المرض"، "والوهن النفسي"، "المخاوف"، وأنواع أخرى من العصاب مثل: "عصاب الحرب"، و"عصاب الحادث"، و"عصاب القدر"، و"عصاب السجن" وهذا الأخير لنا حديث معه في الفصل الثاني.

ب- اضطرابات ذهانية (الذهان):

ذهانية نسبة إلى الذهان، وعليه «**الذهان:** هو اضطراب عقلي خطير، يؤدي بصاحبه إلى تعطيل إدراكه واستيعابه وذاكرته وعجزه عن رعاية نفسه، كما يصيب الشخصية والسلوك بالتفكيك والاضطراب، لذا يمنع المذهون أن تكون له علاقة بالآخرين، وهو لا يعني أنه مريض فهو فاقد الاستبصار، وتأتيه هلوسات وهذاءات، كما أن الذهان اضطراب يؤدي إلى الجنون»[1].

«ذهان عضوي وذهان نفسي

- **ذهان عضوي:** وهو مرتبط بتلف في المخ أو الضمور في أنسجته نتيجة مرض أو حادث، ومن ذلك: الذهان الكحولي: بسبب إدمان الكحول.

الذهان الإنسمامي: بسبب إدمان العقاقير.

بالإضافة إلى ذهان تصلب شرايين المخ، وذهان زهري الجهاز العصبي المركزي وذهان الالتهاب السحائي، وذهان الشلل العام، وكلّها اضطرابات عقلية تترتب عن أمراض عضوية معينة ذاتية المنشأ، يسببها التلوث الجرثومي، وذهان النفاس والذهان الحملي ويحدثان خلال الحمل أو عند الولادة، وذهان الحمى، وذهان المجاعات بسبب الاضطرابات الغذائية وذهان اضطرابات الغدد الصماء، وذهان الاضطرابات الأيضية.

- **الذهان النفسي:** أي منشأه أمراض "الفصام" و"الهوس" ومن أنماطه:
  - ذهان الاكتئاب.
  - الذهان التفاعلي.
  - ذهان المواقف.
  - ذهان سن والمسمى بالذهان الانتكاسي»[2].

[1] وفاء محمد الحسني، الذهان، كلية المجتمع (الدراسات الإنسانية)، جامعة شقراء، السعودية، ص3.

[2] المرجع نفسه، ص4.

والمذهون النفسي تتناقض صلته بالعالم الواقعي حتى أنه يعيش في دنيا خاصة به وكأنه يحلم، وفي الحالات الشديدة قد يشمل التدهور على كل الشخصية.

كما أننا توصلنا إلى بعض تأثيرات المصاب بالذهان على مستوى الشخص حيث «- **الشخصية الذهانية:** تتفكك شخصية المريض بالذهان، وتتشوه وتفقد تكاملها، وتتغير تغيراً جذرياً حتى يصبح المريض مع الوقت غريبا عما كان يعرف به قبل المرض، وتتحطم الدفاعات النفسية وتضعف عمليات الكبت والمقاومة، ويضطرب الأنا ويتقبل الدوافع البدائية الأولية التي كانت مكبوتة دون نقد كالدوافع الجنسية أو العدوانية التي تنطلق انطلاقاً تلقائياً خاليا من الضغط، وتطفو محتويات اللاشعوري، ويظهر محتواه في سلوك المريض، ويلاحظ النكوص الشديد الذي قد يصل إلى المستوى الطفلي أو البدائي، ويظهر في الانسحاب من العلاقات الاجتماعية أو الشذوذ عنها، والسلوك النرجسي، والجنسي والعدواني»[1].

ت- اضطرابات سلوكية اجتماعية:

للاضطراب السلوكي عدة مفاهيم أهمها أن «الاضطراب السلوكي هو اضطراب نفسي يتضح عندما يسلك الفرد سلوكا منحرفا بصورة واضحة عن السلوك المتعارف عليه في المجتمع الذي ينتمي إليه الفرد، بحيث يتكرر هذا السلوك باستمرار، ويمكن ملاحظته والحكم عليه من قبل الراشدين (الأسوياء)، ممن لهم علاقة بهذا الفرد، ويمكن تقسيم الاضطرابات السلوكية إلى عدة أنواع منها:

- اضطرابات القلق.
- الاضطرابات السلوكية التخريبية ومنها مايلي:(العدوان على الناس والحيوانات، تدمير الممتلكات، الغش والكذب والسرقة، التغيب عن المدرسة أو غير ذلك من الانتهاكات الجسمية للقواعد).
- **اضطرابات انفصامية:** وهي مجموعة أمراض عقلية تشترك بأعراض أساسية متشابهة كالتفكير المفكك غير الواقعي والانفصام العاطفي، والابتعاد عن الحقيقة، والتدهور التدريجي في بناء الشخصية»[2].

---

[1] المرجع السابق، ص7-8.

[2] سوسن شاكر مجيد، اضطرابات الشخصية – أنماطها – قياسها، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط2، 1436هـ/2015م، ص169.

بالإضافة إلى: الاضطرابات العاطفية وهي أفعال أو عواطف غير مناسبة في ظل الظروف العادية واضطرابات النمو المنتشرة خاصة لدى الأطفال.

ثانيا- سرد السُّجون.

1- مفهوم السجن:

أ- لغة:

جاء في لسان العرب "لابن منظور" في مادة س ج ن بمعنى: السجن، «والسجن بالفتح: المصدر. سجنه يسجنه سجنا أي: حبسه ... والسجن: المحبس. وفي بعض القراءة: ﴿قَالَ رَبِّ السِجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ﴾ فمن كسر السّين فهو المحبس وهو اسم، ومن فتح السّين فهو مصدر سجنه سجنا... والسّجان: صاحب السّجن، ورجل سجين: مسجون، والجمع سجناء وسجنى، وقال أبو عبيدة: وهو فعيل من السّجن والحبس، وفي حديث أبي سعيد: ويؤتى بكتابه مختوما فيوضع في السّجن... وهو بغير الألف واللاّم إسم علم للنّار، ومن قوله تعالى: ﴿كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ اَلْفُجَار لَفِي سِجِين﴾. والسّاجون: الحديد الأنيث، وضرب سجين أي شديد»[1].

وعرفه "بن سيدة": (س ج ن) سجنه سجنه سجنا: حبسه، وفي بعض القراءة: «السجن أحبُّ إليَّ"، السّجن: المحبس، السَّجان: صاحب السّجن، ورجل سجين: مسجون وكذلك: الأنثى بغير هاء ... والسِّجين بكسر السِّين والجيم: السجن، ولهو واد في جهنَّم مشتق من ذلك، ويقال: فعل ذلك سجّينا بكسر السين: أي علانية، والسّاجون: الحديد الأنيث»[2].

وذكر "ابن فارس" في معجمه "مقاييس اللّغة": «سجن السّين والجيم والنون أصل واحد وهو الحبس، ويقال حبسته، سجنا ... والسّجن: المكان يسجن فيه الإنسان... »[3]

---

[1] أبو الفضل جمال الدين بن مكرم بن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ج1، مادة (ح ب س)، د ت، ص203.

[2] علي بن إسماعيل بن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، تح: عبد الستار أحمد فراج، ج7، معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية، ط1، 1958، ص196.

[3] أبو الحسن بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ج1. ط1، 1979، ص137.

ومن التعريفات الثلاثة السابقة الذِّكر نخلص إلى أنَّ السجن هو الحبس ومنع الحريّة عن الشخص لذنب اقترفه، كما أنّه يشير إلى المكان الذي يوضع فيه المسجون كما يدلُّ على ذلك البناء باستخدام الحديد الصلب الذي لا يسهل صهره ولا قطعه.

ب- اصطلاحا:

ورد في القرآن الكريم لفظ السجن كاسم دال على مكان الحرمان من الحرّية في عدة مواضع ست منها في سورة يوسف في إطار قصصي، ومن الآيات التي ذكر فيها:

﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾[1]. ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾.[2]

وقد أورد الإمام الكسائي (توفي 578هـ) أنّ «السجن هو منع المحبوس عن الخروج إلى أشغاله ومهمّاته وإلى الجمع والجماعات والأعياد، لأن الحبس يكون للتوصل إلى قضاء الدّين والغاية منه الضجر فيسارع إلى قضاء دينه»[3].

وورد في مصادر الفقه ومصادر السياسة الشرعية «أنّ السجن الشرعي ليس هو السجن في مكان ضيّق وإنّما هو تعويق الشخص ومنعه من التَّصرف بنفسه سواء كان في بيت أو مسجد... »[4].

وبهذا يكون التعويق أهم شروط الحبس في الشريعة الإسلامية، فيمنع عن المحبوس مختلف الأشغال اليومية الاجتماعية والدينية كأداء الصلاة في المسجد أو أداء فريضة الحج وكذا معاملات البيع والشراء بهدف إصلاح شأن المعاقب دون أذيته جسديا أو نفسيا.

والسّجن في المنظومة السياسية «هو المكان الذي تنفذ فيه الأحكام على الأشخاص المذنبين القاضية بحبسهم، وقد يكون السجن لغير ذنب كما لو كان لدين أو تهمة»[5].

---

[1] القرآن الكريم، سورة يوسف، الآية: 25.

[2] القرآن الكريم، سورة يوسف، الآية 36.

[3] أيمن سليمان خالد التميمي، السجون في العصر العباسي: 132هـ - 334هـ، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، المشرف: محمد عبد القادر حريسات، كلية الدراسات العليا، جامعة الأردن، 1997، ص05.

[4] وردة العابد،السجن والسجناء في الأندلس الإسلامية 138هـ-479هـ، رسالة دكتوراه في التاريخ الوسيط، المشرف: إبراهيم بحار، قسم التاريخ، جامعة قسنطينة، 2018/2017، ص28.

[5] المرجع نفسه، ص30.

فالسجن مصلحة اجتماعية موجودة منذ القديم ومتطورة من عصر لآخر، تقوم على تأديب المذنبين جزاء تهمة أو ذنب.

وعرّفه "سالم المعوش" بأنّه «مؤسسة عقابية تهدف إلى ردع المذنب عن عمله وإنزال العقوبة به وحجزه بغية تأديبه»[1].

نستخلص مما سبق من تعريفات اصطلاحية أن السجن مكان يُحتز فيه المتهم أو المذنب، بغية ردعه وامتناعه عن ذنبه في حالة خروجه من السجن.

2- الأمراض النفسية الناجمة عن السجن:

إذا ما تعرض الإنسان إلى سلب حريته، ووجد نفسه في بيئة غير البيئة التي اعتاد عليها فمن الطبيعي أن تظهر عليه بعض أنواع الأمراض، ومعظم هذه الأمراض نتاج الانغلاق الناجمة عن السجن، فعلى اعتبار أن تجربة الإيداع والحبس تجربة قاسية ومرهقة بإمكانها تفجير أمراض نفسية لدى السجين، فقد تبين أن نسبة من المجرمين كانوا يعانون من حالة تعرف بهذيان السجين، وهي حالة تستلزم التشخيص والعلاج ليس فقط لمساعدة السجين، وإنما أيضا للحيلولة دون استخدامها كحيلة أو مبرر لإبعاد مسؤولية المجرم بسبب المرض العقلي الذي يوحي به هذا الهذيان،إضافة إلى ظهور بعض الأمراض النفسية لدى المساجين، منها: عصاب السجن الذي يسبب في اضطراب الطبع والتفكير لدى النزيل الذي لا يستطيع التحكم في عواطفه ورغباته.

وتختلف الاضطرابات النفسية التي يتعرض لها السجناء داخل السجن من شخص إلى آخر ومنها: « (القلق، الاكتئاب، اضطرابات النوم)

- **القلق:** إن الظروف التي يعيشها السجين داخل السجن من عزلة عن الأسرة، والحرمان من الكثير مما يرغبه السين، والاحباطات المتكررة التي يعانيها، تؤدي إلى القلق مع شعور بالتوتر والضيق، وهذا ما ينعكس على سلوك السجين من خلال مخالفته لتعليمات السجن، والشجار المستمر مع زملاء السجن، وافتعال المشاكل والتمارض والتذمر المستمر من الظروف التي يعيش فيها»[2].

[1] سالم المعوش، شعر السجون في الأدب العربي الحديث والمعاصر، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 2003، ص34-35.

[2] حمدي ريمة، مداخلة بعنوان "تشخيص الأمراض النفسية في المؤسسات العقابية"، جامعة 8 ماي 1945 بقالمة، ص9.

والقلق صفة وحالة طبيعية في النفس البشرية؛ لكنها إذا تفاقمت وزادت عن حدها تصبح مرضا، والسجين يتعرض للقلق بمجرد الوهلة الأولى التي يدخل فيها السجن.

وبالاضافة إلى القلق هناك الاكتئاب واضطربات النوم وعن وجودهما بالسجن نقول أن

- «**الاكتئاب:** إن التواجد داخل السجن والظروف التي يعيشها السجين داخله تؤدي إلى الشعور بالحزن والهم وتتدنى عنده الروح المعنوية إلى درجة كبيرة، وقد تبلغ لدى بعض السجناء درجة كبيرة حتى تصل إلى محاولة الانتحار، وهذا الانتحار يكون بسبب شعوره بأن بقائه في السجن يؤدي به إلى الخروج ثانية إلى الحياة خارج السجن، وأنه لا جدوى من بقائه داخل السجن ينتظر الموت، مما يعيق هذا التفكير من مشاعر سوداوية ويدفعه أكثر للانتحار.
- **اضطرابات النوم:** يعد النوم حالة أساسية تعيد للإنسان التوازن النفسي والجسمي وبيئة السجن لا تساعد السجين على النوم الهادئ الذي يحقق هذا التوازن، بل تساعد على اضطرابات النوم، وعدم حصول السجين على النوم الكاف، والذي قد يصيب السجين بالأرق، حيث يصعب على السجين النوم إلاّ في أواخر الليل نتيجة فقدان الراحة والطمأنينة والأمن داخل السجن، بالإضافة إلى ما يدور في ذهن السجين من صور ذهنية تؤدي إلى إبعاد النوم.

ويقول البعض أن العزل مصنع الأمراض النفسية والجسدية، ويقول الادعاء الرسمي لسلطات السجون أن العزل "يهدف للحفاظ على أمن السجن أو على السجناء أو على السجين المعزول نفسه"، تبين الآثار النفسية والجسدية العميقة والأبدية بغالبيتها أن العزل هو أقصى الاجراءات العقابية في نظام السجون على الإطلاق، وهو إجراء تأديبي وضبطي يعمل على محور إدراك السجين للزمان والمكان، ويفقده شعوره بنفسه وبهويته، ومن ثم تفاعله مع المحيط»[1].

[1] المرجع السابق ،ص9-10.

3- أدب السجون وموضوعاته:

أ- مفهوم أدب السّجون:

يعتبر بعض النّقاد أن أدب السّجون «امتدادا لأدب المقاومة لأنه يعمل على إدانة وفضح مختلف الممارسات السلطوية المتحكمة في السلوك السياسي للأنظمة العربية، ومن المشاكل التي تعاني منها الأمة العربية، نجد غياب الدّيمقراطية واحتكار السلطة»[1].

من خلال هذا التعريف نفهم أدب السجون وسيلة من وسائل رفض القمع السياسي في الدول العربية، لأنه بمثابة جبهة مناهضة ومقاومة في وجهة الظلم والتجبر والطغيان بحثا عن الانعتاق والحرية والأمل في غد أفضل بتحقيق الديمقراطية والسلام والعدالة بأنواعها انطلاقا من المواطن العربي كونه إنسانا ووصولا إليه باعتباره إنسانا كذلك.

وأدب السجون هو: «الأدب الإنساني النضالي الذي ولد في عتمة وظلام الأقبية والزنازين وخلف القضبان الحديدية، وخروج من رحم الوجع اليومي، والمعاناة النفسية والقهر الذاتي والمعبر عن مرارة التعذيب وآلام التنكيل، وهموم الأسير وتوقه لنور الحرية وخيوط الشمس، ففي جحيم السجن ودياجير الظلام الدامس يمتشق السجين قلمه ليحاكي واقعة وحياته الجديدة ويغمسه في الوجدان ليصور تجربة الأسر والمعاناة اليومية، ويسطر ملامح الصمود والتحدي والبطولة ومعارك الأمعاء الخيالية، في نصوص لا أصدق ولا أعذب ولا أجمل منها»[2].

ومن التعريفات السابقة الذكر نجد أن مكان الكتابة شرط أساسي لتسمية هذا النوع من الأدب بهذا الاسم، فالسجن أمر أساسي للكتابة ولا تكون إلاّ داخله، أين يشعر الكاتب بوطأة المعاناة والتعذيب فأدب السجون هو الأدب الذي يولد في عتمة الزنازين وتمخض من رحم الوجع الدائم في متاهات السجون معبراً عن شعور السجين من مرارة وضيق وألم وعذاب كما يشترط في السجن الأدبي كأن يكون شعرا أو رواية أو قصة.

---

[1] لخضر منير، أدب السجون ومقاومة الاستبداد السياسي بالمغرب، مجلة الحوار المتمدن الإلكترونية، العدد 1903، 2005/05/02.

[2] زكريا بوغرارة، الأكف الممزقة، مؤسسة وإسلاماه للإعلام، ط1، ص02.

ب- موضوعات أدب السّجون:

كانت موضوعات أدب السجون في الماضي أغلبها يتمحور حول الاعتذار والعتاب والحنين والخوف من الموت وفقدان الأمل واليأس، أما في العصر الحديث مع اختلاف الوعي الفكري وتغيرث الأوضاع السياسية والاجتماعية وتغيرت موضوعاته بالحديث عن الظلم والمعاناة ورفض الفساد، ومن أهم موضوعات أدب السجون نذكر:

- «**واقع السجن والسجين:** غلب على أدب السّجون ظاهرة الوصف التحليلي، لأن السجين وصف الحياة اليومية، وصور ما اكتنفها من مشاعر وهو أحبس الأفكار فقد تمثلت الحياة في السجن شبحا ينذر بالموت البطيء، المتجدد بتجدد الصباحات الموحشة والمعاناة الدائمة. لقد صور الأديب تلك التجربة المريرة التي صارت جزء من فكره ولغته وحياته بتفاصيلها الدقيقة، واصفا تارة ومحلّلا ناقدا تارة أخرى، ناقلا حياة السجن وما فيها من سجناء، سجانين، نمط المعيشة داخله والقوانين الجائزة التي تحكمه...
- **الظلم والقهر:** الظلم أنواع ودرجات متفاوتة منها الظلم السياسي والاجتماعي والفكري... وكلما شد حبل الظلم كان الانقلاب أكثر والانفجار أقوى، لأن فكرة زوال الضيم ونيل الحرية والاستقرار متجذرة في قلوب المظلومين وعقولهم، فهو مضمحل متلاش لا محالة»[1].

إن موضوع الظلم ليس مقتصرا على الشعراء والأدباء والمسجونين فقط، «بل إنه كان موضوعا عاما تناوله معظم الشعراء، أما الذين سجنوا فكان وقع الظلم عليهم شديدا إلى الحد الذي جعل معاناتهم تفوق أي معاناة»[2].

[1] عبد الدائم نوال،أدب السجون عند أيمن العتوم من خلال رواية (يسمعون حسيسها)و(ياصحبي السجن)،مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر أدب حديث ومعاصر، المشرف:بوراس سليمان، جامعة محمد بوضياف المسيلة،2021،ص29-31 .

[2] سالم المعوش، شعر السجون في الأدب العربي الحديث والمعاصر، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 2003، ص54.

- « **التحدي والصمود (التحريض السياسي):** إن الذي يؤمن بمبدأ العدالة الإلهية في زمن الفساد، ويؤمن بمبدأ التضحية في سبيل الوطن يدرك جيداً أن السجن قدره المحترم في يوم من الأيام، ولكن الأجدر به الصمود لرفع كل مظاهر الطغيان والاستبداد.

إن الفكرة الشائعة لدى الشعب الواعي لخدمة وطنه هي زوال الظلم في الأخير وتبدد ليل السجن مهما طال الأمر ورفع راية النصر، وتحقيق العدالة، ومن ثم كان لازما عليه تخير طرق النضال المناسبة حسب عمل كل واحدة وتوجهها، فهذا الأديب المناضل يتخذ من أدبه سببا يحرض من خلاله شعبه الخائف المتعب ويقويه بجرعات أمل وكفاح»[1].

- **حب الوطن والتغني بالحرية:** لما كانت السجون معروفة بالعنف الدامي والمعنوي جعل السجناء من الحرية الهدف المنشود والغاية المرجوة لأنهم «في زنازينهم غذاء للسجن، يتاجر بهم الظالم ويغذي جائعة جبروته على العباد، فيكون السجن بذلك ليس جدارا وسلاسل فحسب، وإنما أداة لخنق الحرية»[2].

بالإضافة إلى البحث عن الاستقلال والشوق للتحرر إذ «إن البحث عن الاستقلال واللهفة للتحرر مطلب كل إنسان مناضل، ولانتزاعها من مخالب العدو ولابدّ من الإرادة القوية المستمية في سبيل تحقيقها وتحرير الوطن. هذه الأفكار هي ما تشبع به الأدباء والشعراء لتغذية قرائحهم وإغرائهم على الإبداع أكثر خاصة في أصعب مراحل حياتهم.

ويظهر حب الوطن من خلال التمسك به ورفض كل مظاهر الإخلاء والتهجير.

- «**الشعور بالوحدة والاشتياق للأهل:** عاش المبدع في السجن عالما جديدا، مشحونا بالآلام والجروح لعظم المصيبة التي حلّت به، إذ هيمنت الوحدة على حياته رغم وجود المساجين معه، فهو خائف متوجس لا يثق بأي أحد، هذا الإحساس ولد فيه الشعور بالغربة فراح يتعرف رويدا رويدا على ذاته الجديدة التي لم يتشرف بلقائها من قبل»[3].

---

[1] عبد الدائم نوال،أدب السجون عند أيمن العتوم من خلال رواية (يسمعون حسيسها)و(ياصحبي السجن)،مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر أدب حديث ومعاصر، المشرف:بوراس سليمان، جامعة محمد بوضياف المسيلة،2021،ص31.

[2] سالم المعوش،شعر السجون في الأدب العربي الحديث والمعاص،دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 2003، ص 504.

[3] عبد الدائم نوال،أدب السجون عند أيمن العتوم من خلال رواية (يسمعون حسيسها)و(ياصحبي السجن)،مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر أدب حديث ومعاصر، المشرف:بوراس سليمان، جامعة محمد بوضياف المسيلة،2021،ص35.

ومن هنا نخلص إلى إن نفس السجين تدور في حلقة من الحيرة والتمزق الذاتي والعاطفي الذي جعله يذوب في عالم مليئ بالحزن ويتذكر فيه ذكرياته الماضية التي تظهر أمامه مثل فراشات متراقصة ليشحن بها عقله ويشبع قلبه المنفطر.

4- الروايات العربية التي تناولت موضوع السّجن:

تعد الرّواية من أكثر الأجناس الأدبية المعبّرة عن حالة الاعتقال والأسر قياسا بالأجناس الأخرى، ولقد برز العديد من الأدباء بروائعهم الخالدة التي ولدت من رحم المأساة والأنّاة ومن بين هذه الرّوايات نذكر مايلي:

- "القوقعة" لمصطفى خليفة.
- "حيونة الإنسان" لممدوح عدوان.
- "يا صاحبي السجن" لأيمن العتوم.
- "بالخلاصة يا شباب! 16 عاماً في السجون السورية" لياسين الحاج صالح.
- "قافلة الإعدام – مذكرات سجين في طهران-" لبهروز قمدي.
- "تزممارت الزنزانة رقم 10" لأحمد المرزوقي.
- "السّجن الوطن" لفريدة النقاش.
- "مذكرات سجينة –صفحات حمراء من تاريخ منسي-" لفاطمة العراقي وعلي العراقي.
- "مذكراتي في سجن النساء" لنوال السّعداوي.
- "أحلام بالحرية" لعائشة عودة.
- "أحلم بزنزانة من كرز" لسهى بشارة.
- "قدر الغرف المقبضة" لعب الحكيم قاسم.

الفصل الثاني

الحالات والأمراض النفسية في رواية القوقعة وأثرها على الشخصية المسجونة

أولا- الحالات والأمراض النفسية المستعصية في الرواية.

من خلال تتبعنا لأحداث الرواية وتسليط الضوء على مختلف الشخصيات المسجونة فيها تمكنا من إيجاد جملة من الحالات والأمراض النفسية المستعصية والمتمثلة في: الغضب، الانطواء، الخوف والذعر، الاكتئاب،القلق، التشاؤم من المصير المجهول، الضعف والقهر، فقدان السند والمعين، الذل والمهانة والاحتقار، الصدمة، فقدان المعنى من الحياة، الحـــب.

1- الغضب:

يعرف الغضب بأنه «انفعال نفساني مقارن لغريزة الكفاح والمقاتلة، وهو المظهر الإيجابي لغريزة الدفاع عن النفس، أو لغريزة حفظ البقاء»[1].

كما عرفه القدامى بأنه شيء يختلج في النفس البشرية يبدأ بإرادة الانتقام، وعرفه أيضا المحدثون بأنه إرادة انتقام مصدرها شعور المرء بضرر أو ألم أو احتقار.

وقد عرف الغضب في تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق على أنه« عنصر نفساني يحدثه المرء للتعامل مع الآخرين وللتخلص من التهديدات التي أحدثت ذلك الغضب والانفعال الشديد، ولا يكاد يخلو كلّ إنسان من القوة الغضبية، وللغضب أنواعه وأسبابه حسب المواقف »[2].

فبطل روايتنا عندما ألقي عليه القبض في المطار وتم إدخاله فرع المخابرات بدأت تنهال عليه الأسئلة، ووابل من الضرب عند نفوره وعدم الاستجابة، وهو مع كل هذا الالتباس في حقه لو تم تفتيش حقيبته أو النظر لما كان يحمل لعرف من يكون هو، ولكن لحظه السيء.

لم تهتم عناصر المخابرات بتعذيبه والتنكيل به عند إمساكه، فعند تلك اللحظات صاح بأعلى صوته صارخا:« بس يا سيدي أنا مسيحي ... أنا مسيحي »[3].

وهنا صياحه وتكراره للفظة أنا مسيحي تدل على غضبه وسخطه من الشرطة.

---

[1] جميل صليبا، العجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت- لبنان، 1982، ج1، ص 128.

[2] أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، تحقيق ابن الخطيب، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، ص 214.

[3] مصطفى خليفة، القوقعة، دار الأدب، بيروت، ط1، 2008، ص19.

كما أن بطل الرواية وبدخوله فرع المخابرات وتنقله بين أروقة المعاقل هناك شاهد كل أنواع التعذيب.

وعندما تولى الشرطي أيوب تعذيبه بالخيزرانة وزج به في زنزانة مكتظة بالمساجين، فعند هذه اللحظة لم يستوعب بطلنا الالتباس الذي تعرض له والمعاملة السيئة التي خص بها فأعلن للمرة الثانية مسيحيته وإلحاده عساه يتفادى الموقف الذي هو فيه.

حيث يقول: « قلت محتدا: طيب .. العمى أنا شو دخلني؟! أنا مسيحي ماني مسلم وأنا ملحد ماني مؤمن »[1].

يطرح بطل روايتنا عدة تساؤلات على لسان كافة المساجين وعن سبب تقبلهم للذل وطواعيتهم للمهانة التي سلطت عليهم، حيث أن كل المساجين قد تدربوا على هذه المذلة سابقا. فيقول مشيرا إلى ذلك:« أكثر من مائة عنصر من عناصر الشرطة العسكرية يحومون حولنا، جميع السجناء يتحاشون النظر مباشرة إلى أي عنصر، رأسنا منخفض قليلا، أكتافنا متهدلة، وقفة فيها خشوع، وقفة تصاغر وذل، كيف اتفق جميع السجناء على هذه الوضعية وكأننا تدربنا عليها سابقا؟! لست أدري؟ كأن كل واحد منا يريد الاختباء داخل ذاته »[2].

أما مع بداية تعذيبه في المعتقل بعد أن غطوا عينيه وأهانوه إهانة كبيرة، اشتد غضبه كثيرا على من معذبيه فكان يتخيلهم وحوشا وليسو من البشر، وجوههم مسلوخة وقلوبهم لا تعرف شيئا عن الرحمة يقول عنهم: « أيّة قوّة سلخت هذه الوجوه؟ كيف سُلخت؟ لماذا؟ أين؟ لست أدري لكن ما أراه أن الوجوه البديلة لا تشبه وجوه باقي البشر وجوه أهلنا وأصدقائنا: مسحة غير بشرية. هي غير مرئية، صحيح، ولكنها قطعا موجودة»[3].

[1] المرجع السابق، ص23.

[2] المرجع السابق، ص41.

[3] المرجع السابق، ص40.

ومن أمارات الغضب الظاهرة عند البطل ضد المساجين الذين كانوا يسيئون إليه يقول:« مرة كنت ماشيا باتجاه المغاسل فاصطدمت يدي بيد واحد منهم كان عائدا من المغاسل، رجع واغتسل ليتطهر. إذا استخدمت حنفية الماء فإن من يأتي بعدي يغسلها بالصابون سبع مرات، لأني ببساطة "نجس". مرة سمعت أحدهم يقول للآخر بأنه لا يكفي أن يغسل الحنفية بالصابون سبع مرات، إنما يجب أن يكون لدينا بعض التراب، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال:(إذا ولغ كلب في إناء، فاغسلوه سبع مرات إحداهن بالتراب)»[1].

وهنا نلمس غضب بطل الرواية من هذه المعاملة التي يعامل بها ومن معه من المساجين.

كما أن غضبه من موقف اللامبالاة من طرف الشعب خاصة بما يجري للسجناء في السجن الصحراوي واضح في قوله:« أنظر إلى الناس. أتفحص وجوههم. ما هذه اللامبالاة؟ ترى كم واحد منهم يعرف ماذا جرى في السجن الصحراوي؟ ترى كم واحد منهم يهتم؟ أهذا هو الشعب الذي يتكلم عنه السياسيون كثيرا؟ ... انتبهت لنفسي، مالي أفكر غاضبا هكذا؟ »[2].

2- الانطوائية(الانطواء) :تعرف الانطوائية بأنّها: « طراز من المزاج أو الشخصية يميز الأفراد الذين ينحصر اهتمامهم بأفكارهم أو أحاسيسهم أو حدسهم الشخصي أكثر من اهتمامهم بالعالم المحيط بهم»[3].

كما يعرّف الانطواء في مجمع اللّغة العربية :« الانـــطواء عبارة عن تقوقع نــحو الذّات والالتجاء للخيال لتعويض الحاجة الاجــتماعية التفاعلية وقد نجد المــرء في هذا العنصر النفسي مستغرقا في الذّاتية ميّالا إلى السّهو وفرط الحساسية»[4].

إنّ المعاناة والعزلة والانطواء التي فرضت على بطل الّرواية منذ أيامه الأولى من دخوله السجن وعلى الرغم من محاولاته التّعرف على من معه من المساجين والانفتاح عليهم لكن للأسف فقد فرضت عليه عزلة من نوع آخر جعلته يعيش الاغتراب النفسي وهو كاره له

[1] المرجع السابق، ص74، 75.

[2] المرجع السابق، ص278.

[3] سوسن شاكر مجيد، اضطرابات الشخصية (أنماطها – قياسها)،دار صفاء للنشر و التوزيع عمان ، ط1،2015،ص69.

[4] مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية-مصر، ط4، 1425هـ-2004م، ج2، ص572.

لهذا كان يحاول أن يستبدل التواصل المباشر بالتلصص داخل قوقعته، فتلك العزلة التي فرضت عليه من دائرة المساجين حين قاطعوه مقاطعة تامة يقول عنها:

« أشاح بوجهه عنّي ولم يجب، سألت الجار الآخر أيضا لم يجب، تذكّرت أنني نصراني كافر جاسوس وستلاحقني هذه التهم»[1].

ويقول أيضا: « إذا قلت لأحدهم صباح الخير أشاح بوجهه إلى الطرف الآخر».[2]

فمن اللحظة التي أودع فيها البطل السجن فرض عليه الانطواء القسري وعدم الاستقرار النفسي، فأصبحت حياته محفوفة بالمصائب والمرارة من كل أفراد الشرطة ومن كل المساجين، وقد عبر عن ذلك: «أضحت مقاطعتهم لي تامة، التّهديد لازال مسلطا. جلست على فراشي ساهما أتحاشى النظر إلى أي اتجاه... ومع الأيام بدأت تنمو حولي قوقعة بجدارين جدار صاغه كرههم لي... والجدار الثاني صاغه خوفي منهم»[3] فالانطواء الذي يؤدي إلى انفصال الذات عن عالمها الخارجي هو ذلك الاغتراب النفسي الذي يجعل المرء عاجزا عن التواصل مع المحيط حوله، يعيش في فراغ نفسي مفضلا العزلة ويشعر بآلام داخلية يصعب التخلص منها.

3- الخوف والذعر:

يعرف صاحب معجم التقفية الخوف على أنه «الخوف هو انفعال نفساني يصدر عن شر متوقع الحدوث، وله درجات متفاوتة في الشدة أدناها الخشية وأعلاها الذعر»[4].

فأولى مواقف الخوف التي تعرض لها بطل الرواية عند دخوله إلى مكتب الضباط حيث عبر عن خوفه بتلك الروائح التي تسللت إلى أنفه قائلا: «انسلت إلى أنفي رائحة مميزة لا يوجد مثيلها إلا في مكاتب ضباط الأمن هي خليط روائح العطور المختلفة، السجائر الفاخرة رائحة العرق الإنساني، رائحة الأرجل»[5].

---

[1] مصطفى خليفة، القوقعة، دار الأدب، بيروت، ط1، 2008، ص26.

[2] المرجع نفسه، ص69.

[3] المرجع نفسه، ص72.

[4] أبو بشر اليمان ابن أبي اليمان البندنيجي، التقفية في اللغة، تحقيق خليل العطية، مطبعة العاني، بغداد 1967، ص578.

[5] مصطفى خليفة، القوقعة، دار الأدب، بيروت، ط1، 2008، ص13.

ويقول أيضا: « كل ذلك ممزوج برائحة التعذيب، العذاب الإنساني. رائحة القسوة ما إن تصل الرائحة إلى أنف الإنسان حتى يشعر بالرهبة والخوف، وقد شعرت بهما رغم اعتقادي أن التباسا ما وراء كل هذا»[1].

فبطل الرواية ومع دخوله السجن وهو يستعرض تلك المشاهد. مشاهد التعذيب أصناف الإيذاء من ضرب جسدي وسب وشتم ممزوجة برائحة الدم المسفوح وقطع اللحم البشري الملتصقة على الجدران زرعت في قلبه رعبا وخوفا ورهبة.

كما يظهر البطل في صورة الخائف المرتعب في قوله: «ثلاثة أيام بعد اكتشاف الثقب، ثلاثة أيام لم أستطع أن أنظر من خلاله، قلبي ينبض بشدة كلما فكرت في الأمر طوال اليوم وأنا أفكر كيف أتغلب على خوفي من الشرطة والأهم خوفي من السجناء»[2].

هنا يبدو لنا البطل خائفا ومحاصرا بين خوفين، خوفه من الشرطة وهو خوف طبيعي، وخوفه من السجناء وهو مفارقة سببها إلحاده وتهمته بالجوسسة، فكل النزلاء مسلمون مؤمنون وموحدون لله، أما هو فمسيحي ملحد.

ومن المواقف الدالة على الخوف في روايتنا هو خوف السجناء من الجوع في قوله: «الطعام أصبح مشكلة كبيرة، في الأيام الأولى من وفرة الطعام أخذ السجناء يحاولون تخزين ما يمكن تخزينه خوفا من العودة إلى أيام الجوع»[3].

وهنا يتجسد لنا خوف السجناء من الجوع الذي إذْ بات يهدد حياتهم بالموت الأمر الذي جعل الجميع هناك يتمسون بالحياة من أجل البقاء.

«فالحاجة إلى الطعام حاجة حيوية لازمة لبقاء الكائن الحي»[4] وفي الرواية مواطن كثيرة أخرة تبرر هذا الشعور القاتل.

---

[1] المرجع السابق، ص13.

[2] المرجع السابق، ص127.

[3] المرجع السابق، ص157.

[4] كامل محمد محمد عويضة، علم نفس الشخصية، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط1، 1996 ص223.

4- الاكتئاب:

الاكتئاب هو: «مرض نفسي يصاحبه اتجاه للعزلة وهبوط في الجسم وفي القدرات الذهنية، وحالة نفسية أو عصبية تتسم بعدم القدرة على التّركيز والأرق وشعور بالحزن الشديد واليأس»[1].

وتعرف الشخصية الاكتئابية بأنها :« شخصية انفعالية هستيرية تتسم بالعبوس وشدة الحزن والانكسار»[2].

فالاكتئاب يغير في طريقة الحركة والكلام والأحاسيس والمشاعر، ومن المواقف التي سجلنا فيها حالة الاكتئاب عند بطل الرّواية مذّ الوهلة الأولى التي دخل فيها السجن حين خضع كعبد ذليل لعناصر الشرطة والأمن العسكري فيقول: « منذ تلك اللّحظات علّموني أن أقول:(يا سيدي)،هذه الكلمة لا تستخدم هنا كما بين رجلين مهذّبين، تنطق هنا وهي تحمل كلَّ معاني الذلّ والعبوديّة ».[3]

وقد أحّس بطل الرّواية بالمرارة والكآبة العميقة لا سيما حين يسبح بخيالاته وأحاسيسه إلى المقارنة بين الماضي القريب الذي عاش فيه السعادة وبين ما يحصل له في الأيام الحالية المليئة بالكآبة والسّوداوية فبدت له الدقائق والساعات دهرا فهو يقول: « خلال هذه الساعات التي بدت لي بطول الدّهر، كنت كمن يطفو في الزّمان والمكان، رغبة بدت لي كاعتقاد راسخ بأنّ كلّ هذا ما هو إلاّ خطأ سخيف سينتهي بعد قليل »[4].

فبطل الرّواية قلّ نومه من شدّة الأرق وقلّت شهيته للطّعام والشراب إلى جانب التّعب والضّيق والكدر مع بؤس وتعاسة متجددة كلّها مؤشرات للاكتئاب.

وقد عّم الاكتئاب أغلب المساجين نتيجة التعذيب والقلق إلى درجة أنّ الواحد منهم كان يتمنّى الموت من شدّة القهر ،ولقد عبّر البطل على ذلك الموقف بقوله: « يصبح الموت أمنية!! أتمنى الموت صادقا. حتى الموت لا أسطيع الحصول عليه »[5].

---

[1] أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، دار عالم الكتب، ط1، 2008، ج3، ص1887.

[2] المرجع نفسه، ص1888.

[3] مصطفى خليفة، القوقعة، دار الأدب، بيروت، ط1، 2008، ص20.

[4] المرجع نفسه، ص28.

[5] المرجع نفسه، ص54.

ولم يكن الاكتئاب مقتصرا على بطل الرّواية فقط بل نجده عند صديقه (نسيم) الذي ساء وضعه بعد إعدام الإخوة الثلاثة « أمّا نسيم فقد ساء وضعه كثيرا، بقي صائما عن الطعام والكلام مدة خمسة أيام كاملة بعد إعدام الإخوة الثلاثة ... رغم ذلك دخل في حالة من الاكتئاب الحاد، عزوف عن الكلام، لم يعد يلعب الشطرنج وتوقّف عن الأعمال الفنّية التي كان يشكلّها من العجين»[1].

وهذه الحالة التي دخل فيها نسيم كانت مقدمة لجنونه في الأحداث القادمة من الرواية.

5- القلق:

يعرف القلق على أنه: « استعداد تلقائي للنفس بجعلها غير راضية بالواقع»[2].

وينتج القلق عن عدم الاستقرار الداخلي في نفسية الشخص وله عدة مؤثرات داخلية وخارجية.

ويقول سيجموند فرويد:«إن القلق الذي يصيب الذات الإنسانية يعود إلى مصدرين: أولهما المصدر الداخلي والثاني المصدر الخارجي»[3].

ومن المواقف التي كانت سببا في قلق البطل التهمة التي ألبست له، حتى زجّ به في السجن على الرغم من أنه كان يدين بالديانة المسيحية، وكذا شعوره بالقلق والارتباك نــفسه في مواجهته للمساجين الذين كانوا معه، كل ذلك جعله يعيش في كابوس وجحيم لم يستطع التخلص منهما.

على الرغم من كل ما تقدم إلا أن البطل كان يتأمل في أن التباسا ما وراء سجنه وسرعان ما سيزول ذلك اللبس وهذا ما نجده عند قوله: «ما أن تصل الرائحة إلى أنف الإنــسان حــتى يشعر بالرغبة والخوف وقد شعرت بهما رغم اعتقادي أن التباسا ما وراء كل هذا»[4].

---

[1] المرجع السابق، ص257.

[2] جميل صليبا، العجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت- لبنان، 1982 ،ج1، ص200.

[3] بدر الدين عامود، علم النفس في القرن العشرين، اتحاد الكتاب العرب، 2001 ،ج1، ص282.

[4] مصطفى خليفة، القوقعة، دار الأدب، بيروت، ط1، 2008، ص13.

وكثيرة هي المواقف التي جعلته يتساءل عن سبب قدومه هنا وما من مجيب! إذ يقول: «هل هي رحلة من الظلام إلى النور؟ آمل ذلك»[1].
ويقول أيضا: «طوال اليوم وأنا أفكر كيف أتغلب على خوفي من الشرطة والأهم خوفي من السجناء»[2].

وقد سيطر القلق على نفسية البطل في موقف آخر بسبب عدم اطمئنانه في السجن وقلقه حيال أساليب التعذيب التي تنتظره في صباح يوم الغد قوله: «وتمددت فورا، غـــدا سيكون فطوري خمسمائة جلدة بقشاط مروحة الدبابة على قدمي! إن قدمي التي أصـــيبت شفيت تماما مع ندب طويل ولكنها كانت تؤلمني دائما في أيام البرد فألفها أكثر من غيرها كنت بزوج من الجوارب الصوفية! أحد أحلامي الصغيرة ماذا سيصير مصير هذه القدم المسكينة عندما تتلقى خمسمائة جلدة؟».[3]

غالبا ما يكون القلق أكثر تأثيرا على الصحة الجسمية ومع قلة الطعام ورداءته في أركان السجون وفي هذا الصدد يقول بطل الرّواية : «اليوم فطوري كان ثلاث حبات زيتون هي كامل حصتي ،ملعقة صغيرة من المربى على العشاء. إذا كان الإفطار بيضا فلكل ثلاثة سجناء بيضة مسلوقة ».[4]

فالجوع ورداءة الطعام مع قلة النوم إلى جانب التعذيب والقهر يغذيان في السجين نار القلق والاضطراب. هذا حديثنا عن عوامل القلق الخارجي أما دوافعه الداخلية فتظهر في عدة مواقف منها قوله: «وكلما تصاعد صوت المساعد كنت أحس أن التوتر والعصبية يزدادان».[5] لقد تملّكه القلق والإحساس بالجزع كلية فعندما بدأ الضابط بفرز المساجين إلى أصناف فإذا بجسمه يرتعد خوفا وقلقا على مستقبله المجهول.
ومن العبارات التي دلّت على القلق الجماعي داخل السجن قوله معبرا عن القلق من انتشار وباء الجرب: « طلب الدكتور غسان من أبو حسين تشكيل فرقة تمريض مهمتها ربط

[1] المرجع السابق، ص38.
[2] المرجع السابق، ص127.
[3] المرجع السابق، ص85-86.
[4] المرجع السابق، ص122.
[5] المرجع السابق، ص42.

المرضى الذين ينتشر لديهم الجرب ...منذ خمسة أيّام وفي الصباح كان أبو حسين مستغرقا في التفكير».[1]

فقد انصبّ تفكير الجميع في طريقة علاج هذا الوباء الخطير (الجرب)، وشغل تفكيرهم في ظل غياب الرعاية الصحية والدواء لهذا المرض الخطير.

6- التشاؤم من المصير المجهول:

فالرواية من مطلعها مليئة بالمواقف التشاؤمية التي عاشها السجناء خاصة إذا تعلق الأمر بمصيرهم ومحاكمتهم ونتائج التحقيق معهم، فكل يوم يمر عليهم في السجن يزداد غموضًا، فالحياة هناك قابعة تزداد سوءا بصنيع الشرطة التي كانت تتفنن في التسلط والتعسف والتعذيب، إذ يقول البطل معبرا عن هذا الموقف التشاؤمي: « لم أستطع النوم بعدها... أسئلة وأسئلة أي عالم هذا الذي حشرت فيه؟ هل هذه هي البداية ولكن إلى أين؟».[2]

7- الضعف والقهر:

إن شعور السجين بالضعف والقهر أحاسيس لازمة في زنزانة السجن، ولكن الغريب في الأمر هو جهل السجين الأسباب التي أدت به إلى هذا الجحيم مثل حال بطل الرواية، وقد تجسد هذا القهر والضعف عند بطلنا في عدة مواضع على سبيل قوله معبرا على لسان المساجين « ثمّ أكثر من ثلاثين كل فلقة يحملها اثنان من البلديات، أمامها ثلاثة عناصر وثلاثة كرابيج والكثير .. الكثير من القسوة والألم، الصراخ .. الضعف .. القهر، القسوة ..الموت !»[3]

8- فقدان السند والمعين:

إذ يقول البطل بعد موت الدكتور زاهي « بموته أحسست أنني فقدت آخر سند لي »[4] وهنا يتجسد شعور فقدان السند والمعين، مع ما يختلج في نفسه من وحدة وكراهية امتزجت بالخوف والرعب والقهر فإن فقدان السند وحامي الظهر هو خسارة كبيرة مُني بها بطل روايتنا.

---

[1] المرجع السابق، ص196.

[2] المرجع السابق، ص36.

[3] المرجع السابق، ص50،51.

[4] المرجع السابق، ص110.

9- الذل والمهانة والاحتقار:

إلى جانب الأساليب القمعية الحسية التي تجرعها السجناء مع إحساسهم بالذل والمهانة والاحتقار التي ارتسمت ملامحه على ثغور الجميع يقول البطل:

«سأخرج من السجن وأشرب كميات هائلة من الماء والعِرق والنبيذ والوسكي وشتى المشروبات الباردة والساخنة، لكن لن أستطيع التخلص من الإحساس بأن مخاط ذلك الشرطي ملتصق بمعدتي... ببلعومي وهو يأبى الخروج »[1].

10- الصدمة:

عرف مصطلح الصدمة تطورات عديدة وتعريفات مختلفة نجد من بينها: «الصدمة هي حدث خارجي فجائي وغير متوقع يتسم بالحدة ويفجر الكيان الإنساني ويهدد حياته بحيث لا تستطيع الدفاعات المختلفة أن تسعف الإنسان للتكيف مع هذا الحدث»[2].

وتعرف الصدمة أيضا على أنها: «حادث يهاجم الإنسان ويخترق الجهاز الدفاعي لديه وقد ينتج عن هذا الحادث تغيرات في الشخصية، أو أمراض عضوية إذا لم يتم التحكم فيها والتعامل معها بسرعة وفعالية، فهي تؤدي إلى نشأة الخوف العميق أو العجز أو الرعب»[3].

ويتجلى مظهر الصدمة في الأب الذي أُعدم أبنائه الثلاثة أمام عينيه، وكانت صدمته أكبر بعد أن أخلف ضابط التحقيق بوعده له المتمثل في إخلاء سبيل ابنه الأصغر أسعد، فحين أُعلن قرار الإعدام كان أسعد من ضمنهم، ومن دلائل شدة صدمة الأب بخبر إعدام أبنائه:« قفز الأب السبعيني إلى الممر بين طرفي المهجع وهو يلوح بيده تلويحات عدم فهم وعدم تصديق!؟ مشى إلى منتصف المهجع، وقف تحت الشراقة التي يطل منها الحارس عادة ونظر إلى الأعلى ... إلى السماء وبصوت راعش ولكن قوي»[4].

فعدم فهمه لما يحدث أدخله في حالة من اللاتصديق لأن قرار الإعدام جاء مخيبا لما يأمل، عندها توجه لله سبحانه وتعالى بكل جرأة ولغة من الكفر و إن كان غير متقصدا ذلك، لكن من هول الصدمة ومرارة الخبر الذي نزل عليه كالصاعقة فقد السيطرة على نفسه ولم يكن مدركا ما يقول فالمتأمل في خطابه مع ربه يلتمس كفرا في كلامه إلا أنه كان كثيرا ما

[1] المرجع السابق، ص102.

[2] بركو مزوز و بوفولة بوخميس، علم النفس الصدمي، دار قانة للنشر والتوزيع، باتنة–الجزائر،2016، ص12.

[3] المرجع نفسه، ص13.

[4] مصطفى خليفة، القوقعة، دار الأدب، بيروت، ط1، 2008،ص248.

يستغفر ربه ومن تلك المواقف نجد «يا رب ... يا رب العالمين، أنا قضيت عمري كله صايم مصلي وعم أعبدك، يا رب أنا ما بدي أكفر حاشا لله وأستغفر الله العظيم ... بس بدي إسأل سؤال واحد: ليش هيك ... ولك ليش هيك؟؟ أنت القوي .. أنت الجبار؟ ليش عم تترك ها الظالمين يفظعوا فينا.. ليش؟ شو بدك تقول؟ بدك تقول أن الله يمهل ولا يهمل؟ .. طيب هالكلام، مين بدو يرجع من أولادي؟ .. يا الله ... أنت ترضى أنه أسعد ابن الخمس والعشرين سنة ينعدم على أيادي هالظالمين؟ قلي جاوبني.. ليش ساكت إنت.. إنت .. أستغفر الله العظيم أستغفر الله العظيم ... يا رب ... لو كان عندك ثلاث أولاد وراح يروحوا على الإعدام بلحظة وحدة ... شو كنت تعمل؟ .. هاه؟ طيب جاوبني على هالسؤال الصغير بس.. أنت .. رب العالمين .. معنا نحن وإلا مع هالظالمين؟! كل شيء يقول أنك معهم .. مع الظالمين ...»[1].

وفي هذا الخطاب تجلى عدم التأدب مع الله سبحانه وتعالى مع أن الشيخ كان على يقين بأنه مخطئ ، لهذا كان كثير الاستغفار في الموقف نفسه. كما تظهر صدمة الوالد في عدة مواقف خلال هذه الحادثة نذكر منها: «أفلت الأب نفسه من قبضة الرجال وركض برشاقة شاب عشريني يداه ممدودتان إلى الأمام تجاه الباب وهو يلهث:

- أولادي ..يا جماعة أولادي.. ولك يا أسعد رجاع ... رجاع!!..ولك أكيد في غلط ..ولك يا إبني رجاع .. خليني أنا روح محلك!! »[2].

الأب مثلوم مفجوع مكسور من هول ما آل إليه مصير أبنائه الثلاثة أن كان مصيرهم الموت دفعة واحدة.

هذا وقد حلت الصدمة بكل من في المهجع مع تفاوت حدتها، لكن نسيم كان له النصيب الأوفر منها –وستكون مقدمة جنونه في المستقبل– حيث توقف عن الكلام و الأكل و الشرب بسبب متابعته إعدام الأبناء الثلاثة من ثقب المهجع وقد نلمس ذلك في قول بطل الرواية: « أما نسيم فقد ساء وضعه كثيرا بقي صائما عن الطعام والكلام مدة خمسة أيام كاملة بعد إعدام الإخوة الثلاثة، حينها تعاونا أنا و أبو حسين على إقناعه بأن يتناول قليلا

[1] المرجع السابق،ص248.

[2] المرجع السابق، ص251.

من الطعام، رغم ذلك دخل في حالة من الاكتئاب الحاد، عزوف عن الكلام، لم يعد يلعب الشطرنج، وتوقف عن الأعمال الفنية التي كان يشكلها من العجين »[1].

بعد أن عاش الموقف بدأ يسأل أسئلة غريبة و يثير مواضيع غيبية، تدعو للغرابة والاستهجان من قبيل سؤاله عن مصير جثث المحكوم عليهم بالإعدام، وعن جثث سعيد وسعد وأسعد هل تكون قد تحللت، وغيرها من الأفكار السوداء التي أخذت تدور في مخيلته.

11- فقدان المعنى من الحياة:

وهو أثر معروف من آثار السَّجن في المسجون، وخاصة السجين ذي الشخصية الضعيفة، أو الشخصية الفلسفية التي لا تغادر التفاصيل، لأنها حساسة لكل شيء. بطل الرواية من هول ما رأى من مشاهد قاسية، كالموت مرضًا، والإعدام، والانتحار والانتكاسات النفسية المتكررة، وكل النهايات المأساوية التي عايشها عادت عليه بأثر نفسي سيء، حيث فقد المعنى من الحياة بعد أن كان طموحًا يتمتع بإرادة وأمنية تغيير وطنه. إنه بعد أن رأى قسوة الإنسان على أخيه الإنسان، أي بعد أن رأى الوحش الرابض في داخل الإنسان انصدم وتغيرت نظرته إلى الحياة، لقد فقدت الحياة معناها فيه، وصف ذلك بقوله: «ساعة أو ساعتين، وأحيانا أكثر، أجلس على الكنبة، أشرب القهوة بلا سكر، وأدخل إلى المرحاض... أخرج أسير على غير هدى. لا أحد يعرفني. لا أعرف أحدا، أسير وأسير، لا أفكر بشيء محدد»[2].

لقد وصف البطل حياته التي خوت من المعنى، إنه لا يمارس شيئا ذا بال تركناه يعيش حياة بيولوجية لا موضع للإنسانية فيها؛ لا يطمح لشيء، لا يرفض شيئًا، لا يتحمس لشيء إنه يعيش وفقط، دون أن يدري حقيقة لِم يعيش.

ويصف علاقته بالناس وبالعالم بقوله: «منقطع كليا عن كل ما يدور في هذا العالم حاولت لينا عدة مرات أن تعيد صلتي بالناس.. بالمحيط، أحيانا كنت أحب أن أسايرها وأجاملها، لكني رفضت بعناد تغيير أسلوب حياتي»[3].

[1] المرجع السابق، ص257.

[2] المرجع السابق، ص361-362.

[3] المرجع السابق، ص368.

إن قوة اللا معنى متفحلة في نفس البطل، ذلك أنه كلما حاول أن يعود إنسانا طبيعيا وجد نفسه مثقلا بقوة اللا معنى، وكأنها جاذبية. وعبر البطل عن الانكفاء الذي خيم على نفسه وسلوكه بقوله: «في حضور الناس أحس بالوحشة والغربة، أشعر أن هناك عبئا ثقيلا ملقى على كاهلي، ولا يزول هذا الإحساس إلا عندما أعود إلى غرفتي، أستلقي على سريري وأحدق بالسقف.. أبقى ساعات طويلة على هذه الشاكلة .. ودون أن أفكر بشيء»[1]. إن الإنسان الذي يفقد المعنى في الحياة يفكر بكل شيء وفي الحين نفسه لا يفكر بشيء إنه في متاهة المعاني، لا يقبض على معنى يبني به حياة جديدة، لأن المعاني متداخلة متشابكة لا هداية فيها.

12-الحـــــب:

يُعرف الحب على أنه: «الوداد والمحبة والميل إلى الشيء السار»[2]، ويُعرف كذلك على أنه «ظاهرة نفسية انفعالية ناجمة عن تأجج الإحساسات والمشاعر وذلك الذي يطلق عليه اسم العاطفة»[3].

فالحب تجربة نابعة من داخلية الشخص ليعبر عن إعجابه وارتباطه بشيء ما ويكون الحب أيضا عاطفة جياشة نحو الوطن أو أي شيء يحب الشخص أن يمتلكه ويتعلق به.

وقد ظهرت مشاعر الحب لدى بطل الرواية تجاه حبيبته "سوزان" في قوله: «كان يـــمكن أن نتـــزوج بمباركة العائلتين لولا إصراري على العودة إلى الوطن وإصرارها على البـــقاء في فرنسا»[4]، وقوله: « سوزان خلال الشهور الثمانية الماضية كان حنيني إليها يكاد يـــكون وحشيا»[5].

وقد برز حبه لوطنه مختلفا عن حبه لحبيبته فقد ظل متمسكا بأحلامه منذ الطفولة حيث قال: «أنا أحب بلدي، مدينتي، أحب شوارعها وزواياها هذه ليست رومانسية فارغة إنه شعور أصيل أحفظ العبارات المحفورة على جدران البيوت القديمة في حينا، أعشقها أحن

[1] المرجع السابق، ص362.

[2] جميل صليبا، العجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت- لبنان، 1982، ج1، ص440.

[3] جلال الدين سعيد، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، دار الجنوب للنشر، 2007، ص143.

[4] مصطفى خليفة، القوقعة، دار الأدب، بيروت، ط1، 2008، ص8.

[5] المرجع نفسه، ص73.

إليها »[1]. فالبطل محب لوطنه متمسك بأرضه راغب في خدمته، يحمل طموحات ومشاريع لخدمته، يرفض أن يكون عبدا في أرض غريبة بعيدة عنه كان مشتاقا للعودة إليه مترقبا تلك اللحظة بكل لهفة ولوعة، وهو ما حدث بالفعل عند عودته وكأنه لم يصدق ذلك قائلا: «وقفت على سلم الطائرة قليلا، أتملى أبنية المطار أنظر إلى الأضواء البعيدة أضواء مدينتي إنها لحظة رائعة»[2].

فالبطل هنا يشعر بالسعادة فرحا بعودته إلى وطنه يعيش هذه المتعة لحظة بلحظة.

ومن مواقف الحب التي ظهرت في طيات هذه الرواية حب البطل للدكتور زاهي وهو أحد السجناء الذين تعرف عليهم في السجن الصحراوي، إذ يقول فيه: «عالجني الشيخ زاهي كما كان يحب أن ينادى متنازلا عن لقبه الدكتور بكل طيبة خاطر»[3].

فهذه العبارة التي مدح فيها البطل الشيخ زاهي مثنيا على تواضعه معجبا بطيبة قلبه يظهر لنا مدى حبه وإعجابه به والواضح إلى جانب ذلك حزنه الشديد عن موته الشيخ، وقد لمسنا ذلك من خلال قوله: «شعرت بحزن عميق لم أشعر به طوال حياتي، حزن أنساني حذري المضاعف أخرجني من قوقعتي فور سماعي الخبر، نسيت حذري منه ومن المرض»[4]. فلا يمكن أن يغلب شعور الحزن بالفراق مشاعر الألم إلا لأننا نحب ذلك الشخص ونجله.

ومن مواقف الحب التي عاشها البطل، حبه لصديقه نسيم حتى أنه كاد أن يتطرف في ذلك وقد تجلى ذلك في قوله:«ما أشعر به تجاه نسيم من عواطف ملتهبة لم أشعر به حيال أية امرأة عرفتها في حياتي»[5].

وعند قوله: «يغادرني أوقات قليلة كأن يذهب إلى المرحاض أو يذهب للاغتسال، فتبقى عيناي معلّقة على باب المغاسل الحجري إلى أن يعود ومن هناك يبادلني الابتسامة فأرتاح»[6].

---

[1] المرجع السابق، ص8.

[2] المرجع السابق، ص11.

[3] المرجع السابق، ص57.

[4] المرجع السابق، ص109.

[5] المرجع السابق، ص238.

[6] المرجع السابق، ص238.

مما تقدم ذكره على نسيم فإن البطل قد تعلق به وكأنه لا يحب مفارقته ولو لفترة قصيرة.

وإن من هذه المواقف وغيرها نتجت رابطة قوية بين نسيم و البطل جعلتهما يتبادلان أدق التفاصيل عن حياتهم قبل السجن، فحدث ذلك التقارب بينهما فلم ينس أحدهما الآخر وبخروج البطل من السجن فإن أول ما قام به هو الاتصال بأهل نسيم ليطمئنهم على حاله كما بادر نسيم بعد إطلاق صراحه بمهاتفة البطل للاجتماع معه.

ثانيا- الآثار الناجمة عن هذه الحالات و الأمراض النفسية:

بتتبعنا لأحداث الرواية وتسليط الضوء على مختلف الشخصيات المسجونة فيها تمكنّا من إيجاد جملة من الأثار الناجمة عن الحالات والأمراض النفسية وتتمثل في: الانتحار، الكراهية، الجنون، فقدان الأمل والاستسلام.

1- الانتحار:

يعرف الانتحار على أنّه : « قيام الإنسان بقتل نفسه بوعيه أو بدون وعيه، أو هو الفعل المقصود بقتل النفس أو زهق الروح عن سابق تصميم »[1].

فحالة الانتحار ظهرت في روايتنا حينما أقدم نسيم على قتل نفسه بعد أن خرج من السجن وهو يعيش كل الاضطرابات النفسية مشحونا بروح الانتقام ونستشف ذلك من جوابه عن سؤال صديقه بطل الرواية الذي تضمن ما تحمله أحلامه ومخططاته المستقبلية فيشير بجوابه :«بدي أشكل عصابة. عصابة مجرمين»[2].

وقوله أيضا« بس فيه واحد كمركجي سرق منّي بيتي وأختي واغتصب بيت أهلي وكل يوم يغتصب أختي سميرة، وهلق يريد طردي من البيت، راح أقتل هذا الكمركجي.. وكل كمركجي بهالبلد .. راح أقتل كل الكلاب المجرمين»[3].

[1] أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، دار عالم الكتب، ط1، 2008، ج3، ص2177.

[2] مصطفى خليفة، القوقعة، دار الأدب، بيروت، ط1، 2008، ص373.

[3] المرجع نفسه، ص374.

فرغبة الانتقام التي تولّدت عند نسيم ناجمة من آثار التعذيب والاضطهاد التي عاشها في السجن فقد بات يرى زوج أخته مجرما حاله حال سجّانه، لكن عندما عجز عن تحقيق مبتغاه، قرر أن يتخلّص من كل هذا العذاب ويضع حدا لحياته منتحرا.

يعدّ الانتحار أقسى أنواع العنف وأشدّها فكلّ العذاب الحسّي والمعنوي الذي عاشه نسيم في السجن جمعه وجسّده على نفسه.

وإن كان نسيم قد اختار الانتحار والموت بصفة مباشرة وسريعة فإن بطل الرّواية اختار الانتحار البطيء من خلال إقباله على المسكرات بشكل مفرط وكأنه يتعمّد قتل نفسه بهذه الطريقة وقد ظهر ذلك بقوله : «لماذا أشرب هذه الكميات الهائلة من العرق والتبغ يوميا وكأني أسعى للانتحار؟»[1].

فكل هذه السلوكيات و الإفراط في المسكرات كلها تؤدي إلى إهلاك النفس وقتلها والحكم عليها بالإعدام و الموت وإن كان بطريقة غير مباشرة.

2-الكراهية:

الكراهية بمعنى الإجبار والإكراه على فعل شيء دون رغبة أو قناعة «فالكراهية مصدر كرهت الشيء كراهة وكراهية فهو مكروه إذا لم ترده ولم ترضه»[2]. ويترتب عن الكراهية والإكراه أمراض نفسية قد تولد عدة أمراض أخرى مثل الانتحار والانتقام وغيرها من الأعمال الإجرامية.

[1] المرجع السابق، ص377.

[2] عبد النبي الأحمد نكري، جامع العلوم في اصطلاحات الفنون،دار الكتب العلمية، لبنان بيروت،ط1، 2001،ج3،ص86

وقد تجسّدت الكراهية في شخصية بطل رواية نتيجة الظلم والاستبداد والقهر والتعسف وقد عمّ هذا الكره جميع الشخصيات المسجونة فقد تعرضوا جميعا للاعتداء على أبسط الحقوق الإنسانية من شرب وطعام وحتى قضاء الحاجة، ومن مسببات هذا الكره سياسة الحرمان التي تعرض لها السجناء وتأتي في مقدمتها الحرمان من الكتابة خاصة وأن أغلب المساجين هم أساتذة ودكاترة وباحثين، فالأوراق والأقلام تعني لهم الكثير إذ يقول البطل في هذا الموضوع :«ففي السجن الصحراوي لا يوجد أقلام ولا أوراق للكتابة، هذا السجن الذي يحتوي على أعلى نسبة لحملة الشهادات الجامعية في هذا البلد»[1].

كما برز مظهر آخر للكراهية على الرغم من أنه يبدو غير منطقي عندما تعرض للضرب بخيزرانة سجانه أيوب دون أن يعرف تهمته وسبب وجوده، يقول البطل عن نفسه:

« بس سيدي أنا مسيحي .. أنا مسيحي!! شو ولا!! عم تقول مســـيحي ؟! العمى بعيونك ولا ..ليش ما حكيت ؟! ليش جايبينك لكان؟.. أكيد .. أكيد عامل شغلة كبـــيرة! مسيحي؟! »[2].

فمن اللحظة التي أودع فيها البطل السجن فرض عليه الانطواء القسري وعدم الاستقرار النفسي ،فأصبحت حياته محفوفة بالمصائب والمرارة من كل أفراد الشرطة ومن كل المساجين ، وقد عبر عن ذلك: «أضحت مقاطعتهم لي تامة، التهديد لازال مسلطا. جلست على فراشي ساهما أتحاشى النظر إلى أي اتجاه ... ومع الأيام بدأت تنمو حولي قوقعة».[3]

كما تجسدت الكراهية عند كل المساجين وظهر جليا في عبارات بعضهم فهذا الدكتور سمير ناقما كارها للحكومة التي كانت سببا في عذابه وقهره من خلال قوله: « يا أخي لازم نفهمها منيح ... الحكومة بنت الكلب»[4].

[1] مصطفى خليفة، القوقعة، دار الأدب، بيروت، ط1، 2008، ص9.

[2] المرجع نفسه ، ص19.

[3] المرجع نفسه ، ص72.

[4] المرجع نفسه ، ص168.

ويظهر كذلك في قول الدكتور غسان عندما طلب منه التحدث مع طبيب السجن عن المرض العضال الذي يهدد حياة السجناء في قوله: « بس أنا خليني بعيد عن هالساقط طبيب السجن»[1] وكأن الدكتور غسان يفضل الموت على طلب المساعدة من طبيب السجن وهذا ينمو عن كره وبغض شديد تجاهه.

3- الجنون:

تشير دلالة الجنون في التراث العربي إلى أن المجنون هو (المختلف)، لمخالفة الناس فيما اعتادوا عليه وما استقرت عليه حياتهم، لذا رمت بعض الأمم والشعوب الأنبياء والرسل بالجنون.

فمثلا نعت الكفار الرسول عليه الصلاة والسلام بالشاعر والمجنون، يقول النيسابوري في كتابه "عقلاء المجانين" «والمجنون عند الناس من يُسمع ويسُب ويرمي ويحرق الثوب، أو من يخالفهم في عاداتهم، فيجيء بما ينكرون، لذلك دعت بعض الأمم الرسل مجانين لأنهم شقوا عصامهم، فنبذوهم وأتوا بخلاف ما هم فيه»[2].

وقد تجسّد الجنون في شخصية السجين يوسف، من خلال إجابة أحد المساجين عندما سُئل عن حالة السجين يوسف الذي وقف يخاطب الحارس وكأنه يتكلم في الهاتف مع القائد أخ الرئيس، « يبدو أن الأخ فقس!»[3].

ومن يومها أُطلق عليه "مجنون القائد" لأن جنونه ارتبط بالقائد ودليل ذلك قول البطل في روايتنا : «يوسف "مجنون القائد" كما أصبح اسمه»[4].

ومن الحالات الأخرى للجنون هي حالة دكتور الجيولوجيا الذي كان يغطي نفسه دائما بالبطانية، إذ يقول فيه بطل الرواية «أميَز حالة بين المجانين إضافة إلى يوسف هي حالة دكتور الجيولوجيا!»[5].

---

[1] المرجع السابق ، ص193.

[2] أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري، عقلاء المجانين، دار النفائس، ط1، بيروت، 1987، ص30.

[3] مصطفى خليفة، القوقعة، دار الأدب، بيروت، ط1، 2008، ص120.

[4] المرجع نفسه، ص121.

[5] المرجع نفسه، ص121.

وهذا الجنون كان غريبا مجهول الأسباب لكن الشيء الوحيد الذي يُعرف من قصته هو أنه كان رجلا طيبا متدينا سُحب ذات يوم من بين أسرته ليدخل في حالته هذه دون أن يعرف أحد باقي القصة.

أما عن الحالة الثالثة وهو ذلك الانهيار العصبي و الهياج الذي وقع للدكتور نسيم بعد إعدام الإخوة الثلاث، حيث خرج من المهجع عند أول فرصة فتح فيها الباب ليجد نفسه وجها لوجه مع الشرطة والبلديات الذين لم يتمكنوا من ردعه وإخضاعه إذ يقول صاحب الرواية: «وذات صباح فتح عناصر الشرطة باب المهجع، قبل أن يتموا فتحه كالعادة، قفز نسيم كنابض مظغوط تم إفلاته، بأقل من ثانية أصبح خارج المهجع بعد أن رفس الباب بقدمه مكملا فتحه. فوجئ عناصر الشرطة والبلديات بأول وهلة، ولم يتخلصوا من وقع المفاجأة الأولى حتى فاجأهم ثانية بالهجوم عليهم »[1]. فعلى الرغم من لطافة ورقة نسيم إلا أنه امتلك قوة استطاع من خلالها التغلب على سجانه، وهذه القوة والجرأة على الشرطة ليست طبيعيتان فيه، بل اكتسبهما من الحالة النفسية التي آل إليها. وهذه الحالة هي مقدمة لجنونه. حيث قال فيه طبيب السّجن « هدول دواء.. المجنون؟»[2].

ويقول بطل الرواية أيضا عن حالة نسيم «لأول مرة منذ ما يقارب الإثني عشر عاما أرى الشرطة خائفين، فروا من أمام نسيم في الساح، رأيتهم مذعورين!، لأول مرة أراهم يتلقون الشتائم ولا يطيقونها! يتلقونها ولا يردون!. وتساءلت:(هل تحتاج هذه القوة الطاغية التي تمثلها الشرطة إلى الجنون .. إلى مواجهة مجنونة .... حتى تقف عند حدها»[3].

كل هذه المواقف تدل على مرور نسيم بحالة من الجنون وإن لم يكن جنونا تاما لكنه فقد السيطرة والتفكير على أفعاله، ولم يقدر عواقب ما أقبل عليه من مهاجمة الشر وهو قابع في جحره، فقد كان من الممكن أن يقتل بعد هذه الحادثة.

[1] المرجع السابق، ص259.

[2] المرجع السابق، ص261.

[3] المرجع السابق، ص262.

4- فقدان الأمل والاستسلام:

نتيجة الممارسات والأساليب القمعية التي تعرض لها بطل الرواية مع من معه من السجناء الذين عاشوا حالة هسترية قاتمة جعلتهم يشعرون باليأس والاستسلام لما آلت إليه حالتهم، إذ يقول البطل: « بس يا سيدي.. بس، مشان الله ما عاد فيني أتحمل!».[1]

وهو قول أحد السجناء بعد تسليط وابل من أنواع التعذيب عليه، فقوله بس يا سيدي ما عاد فيني أتحمل دلالة على استسلامه وفقدان أمله وانهيار قواه من قسوة التعذيب.

[1] المرجع السابق، ص15.

خاتـــمـــــة

بعد مسيرة بحثية سبرنا فيها سيكولوجية الشخصية في رواية القوقعة لمصطفى خليفة متوسلين بمنهج التحليل النفسي الذي مكّننا من الوصول إلى بعض النتائج النظرية والتطبيقية والتي نجملها في النقاط التالية:

1- مفهوم الشخصية متنازع فيه بين الحقول المعرفية؛ فالحقل النفسي ينظر إليها من ناحية الاستعدادات والدوافع والنزعات والشهوات والغرائز الفطرية والبيولوجية، وفي هذا الإطار يراها سيموند فرويد على أنها صراع بين ثلاث مكونات (الهو، الأنا، الأنا الأعلى)، ويكون شكل الشخصية بحسب غلبة عنصر من هذه العناصر على غيره، أما الحقل الاجتماعي فإنه يراها أسلوبا توافقيا بين هذا الترسانة النفسية والبيئية، فالشخصية سلوك بين حتميتين: حتمية الدوافع النفسية الفطرية وحتمية البيئة، أما الحقل السردي فهي شخصية ورقية لكنها تعكس واقع الشخصيات الحقيقية، وهي أيضا خاضعة لزمان معين وعالم خاص يخلقه لها الكاتب وحبكة مرسومة بدقة، ونهاية موضوعه سلفا، وهي في جانب من جوانبها تشبه دمية بها خيوط يحركها الكاتب تبعا لهواه. وهي من منظور البنيوية التكوينية تمثل فكر جماعة اجتماعية معينة، لأن وعيها جزء من الوعي الجماعي، وهي تمثل رؤيا العالم للزمرة التي ينتمي إليها الكاتب.

- يصنف علم النفس والتحليل النفسي الشخصية إلى عدة أنماط فهناك السوية، والكاريزمية والانبساطية، والانطوائية، والنرجسية، والقلقة، والشكاكة، والاعتمادية، والهستيرية، والفصامية والسايكوباتية، والمتصلبة، والاغترابية، والاستعراضية، والإرهابية وهذه الأنواع تتشكل وتختلف باختلاف الوراثة والظروف الاجتماعية والأحداث التاريخية التي شكلت كل شخصية على حدة، ولقد استثمرها السرد العربي بقوة خاصة في سرد السجون.

- هناك فرق بين الحالات النفسية والأمراض النفسية والفرق الأول كون الحالة النفسية عارضة مؤقتة تزول بينما الأمراض النفسية دائمة أو شبه دائمة وهي سبب اختلالات هرمونية، أو بتلف في المخ أو بسبب حادث أو بإدمان على شيء. والأمراض النفسية هي: الذهان، العصاب، الاكتئاب، الوسواس، الهستيريا... والفرق الثاني أن الحالة النفسية صاحبها يكون إنسانا سويا بينما الأمراض النفسية لا يكون صاحبها سويا لأنه يصدر منه سلوكات غير طبيعية.

– سرد السجون لون أدبي معاصر، فرض نفسه على الساحة الأدبية وذلك بسبب دخول المثقفين إلى السجون بسبب آرائهم السياسية أو بمطالبتهم بممارسة حقهم في الحرية واستيفاء حقوقهم المدنية الإنسانية. ولقد تميز هذا السرد دون غيره من السرود لكثرة الشخصيات السيكولوجية وبسيادة الجو السيكولوجي على تمفصلات الأحداث لأن موضوعه العام هو المعاناة والتظلم والقمع والتعذيب الجسدي والنفسي.

– من الحالات والأمراض النفسية التي كانت حاضرة بقوة في رواية القوقعة لمصطفى خليفة هي:

1– الحبّ: وليس هذا الشعور بغريب على مكان السجن لأن الحب يحتاج إليه السجين كمعادل شعوري يقاوم به القسوة والظلم الواقعان عليه من طرف السجان، والسجين تحت وطأة القسوة يتعلق بأي شيء (إنسان،حيوان، كتاب، ...) ليخفف به عن نفسه لذلك كان الحب الذي انبثق من قلب بطل رواية القوقعة لسجين آخر اسمه الدكتور زاهي الذي كان يتمتع بأخلاق عالية وهو صاحب فضل عليه مرتين مرة عندما حماه من اعتداء المتطرفين عليه وثانية عندما عالجه من مرضه.

2– الخوف والذعر: هذه الحالة طبيعية في السجن غير طبيعية خارجه، فالسجناء يتعودون على الخوف لأنهم يرون بصورة مستمرة موت أصدقائهم، تعذيبهم مداهمات السجانين للسجون فجأة، الأمراض الفتاكة التي تبغتهم...

وبالخوف يستطيع المسجون أن يكون حذرا محافظا على حياته، وبه أيضا من جهة أخرى يصاب بالوسواس أو الاكتئاب.

3– الغضب: وهذا الشعور يكون على أشده في الأيام الأولى للسجين البطل لرواية القوقعة ولكنه يتضاءل ويخفت بقية الأيام لأن الروتين يقتله وسبب كونه شديدا في الأيام الأولى لأن نفس البطل لم تتعود على الحبس والظلم والقهر، بل كانت متعودة على الحرية، وهذا الأمر من شأنه أن يثور بالنفس ويورثها غضبا يستمر لأيام أو لشهور.

أما الأمراض النفسية التي تعرض لها السجناء في سجن تدمر برواية القوقعة فهي:

1– الانتحار: نية الانتحار باتت تراود شخصية نسيم الذي امتلأ بروح الانتقام لما رأى من ظلم داخل السجن وخارجه ولما لم يقدر على الانتقام عاد على نفسه بالانتحار، كما أن

انتحاره أثر على نفسية البطل الذي اختار الانتحار البطئ من خلال الإدمان على السُكر الكثير.

والانتحار هو حل الشخصيات الضعيفة التي لا تصبر على التعذيب والقسوة لمدة طويلة.

2- الاكتئاب: وهو هبوط في القدرات الذهنية وحالة نفسية عصبية تتسم بعدم القدرة على التركيز بمصاحبة الأرق والشعور بالحزن الشديد واليأس، وهذا المرض أصاب شخصية نسيم بعد أن أعدموا الأخوة الثلاثة، فصام عن الأكل والكلام وكاد يهلك.

3- الانطواء: ويكون بالتقوقع على الذات واللجوء إلى الخيال تعويضا على الواقع الذي لا تريده الشخصية، وهذا المرض أصاب البطل منذ أيامه الأولى في السجن، وهذا من فرط الصدمة التي لم يستوعبها، لذلك نجده يتلصص كثيرا بدل الانخراط في المجتمع السجني الجديد.

- النهايات المأساوية التي اختارها الكاتب لشخصياته كانت بعناية وبدقة، فهي تتلاءم مع الوضع النفسي الرهيب الذي عانته في السجن. فالدكتور نسيم مثلا اختار الانتحار كحلَّ نهائي لمآسيه، أما البطل فقد اختار الإدمان على الكحول لكي ينسى كل الذي مرَّ به بعد أن كان متفائلاً قبل دخوله السَّجن بأن يساهم في تغيير وطنه ووصف حالته بالتلصص الداخلي أي أنه كفَّ عن التلصص لكل شيء خارج ذاته، أي أنه أصيب بمرض الانطواء، أي الهروب من المجتمع والعزوف عن المشاركة والتفاعل معه.

أما الدكتور زاهي فقد مات مريضا وهو في السَّجن، ولقي المصير نفسه الشيخ محمود ولكن بالإعدام.

ومن خلال هذه النهايات وغيرها أراد الكاتب أن يبين النهايات السيكولوجية المأساوية التي يخلفها السَّجن وهو تنديد غير مباشر بالذي يحدث في السّجون السّورية.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولا: المصادر

1. إبراهيم مصطفى وآخرون، معجم الوسيط، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر، ج1، تركيا، ط1.
2. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، مج2، ط1، 2004.
3. أبو الحسن بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ج1. ط1، 1979.
4. أبو الفضل جمال الدين بن مكرم بن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ج1، مادة (ح ب س)، د ت.
5. أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري، عقلاء المجانين، دار النفائس، ط1، بيروت، 1987.
6. أبو بشر اليمان ابن أبي اليمان البندنيجي، التقفية في اللغة، تحقيق خليل العطية، مطبعة العاني، بغداد 1967.
7. أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، تحقيق ابن الخطيب، مكتبة الثقافة الدينية، ط1.
8. أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، دار عالم الكتب، ط1، 2008، ج3.
9. إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، دار الكتب العلمية ،ج3، بيروت، 1971.
10. جلال الدين سعيد، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، دار الجنوب للنشر، 2007.
11. جميل صليبا، العجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت– لبنان، 1982، ج1.
12. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط1425،4هـ– 2004م ج2.
13. مصطفى خليفة، القوقعة، دار الأدب، بيروت، ط1، 2008.

ثانيا: المراجع

1- الكتب:

1. أحمد سمير صديق، اضطرابات الشخصية، كلية التربية، بوابة جامعة المينا الرقمية، مصر.ط1 1999م.
2. أحمد محمد عبد الخالق، أسس علم النفس، دار المعرفة الجامعية، ط3، 2000.
3. بدرالدين عامود، علم النفس في القرن العشرين، اتحاد الكتاب العرب، 2001 ،ج1.
4. بركو مزوز و بوفولة بوخميس، علم النفس الصدمي، دار قانة للنشر والتوزيع، باتنة-الجزائر ،2016.
5. حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية)، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1990.
6. حسين حمزة ،أنماط الشخصية أسرار وخفايا، دار كنوز المعرفة ، عمان الأردن ط1، 2014.
7. زكريا بوغرارة، الأكف الممزقة، مؤسسة وإسلاماه للإعلام، ط1. 2003م.
8. سالم المعوش، شعر السجون في الأدب العربي الحديث والمعاصر، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 2003.
9. سوسن شاكر مجيد، اضطرابات الشخصية – أنماطها – قياسها، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط2، 1436هـ/2015م.
10. عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، سلسلة كتب ثقافية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، ديسمبر 1998.
11. عبد النبي الأحمد نكري، جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، دار الكتب العلمية، لبنان بيروت، ط1، 2001،ج3.
12. عصام يوسف، تحليل الشخصيات وأسرار تطويرها، دار الورشة، بغداد، دط2021.
13. علي بن إسماعيل بن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، تح: عبد الستار أحمد فراج، ج7، معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية، ط1، 1958.
14. كامل محمد محمد عويضة، علم نفس الشخصية، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 1996.

15. محمد عزام، شعرية الخطاب السردي دراسته، من منظورات اتحاد الكتاب العربي، دمشق، 2005.
16. محمد غنيم، سيكولوجية الشخصية، دار النهضة العمومية، مصر ، ط1، 1975.
17. محمد محمود عبد الجبار الجبوري، الشخصية في ضوء علم النفس، مطبعة دار الحكمة، بغداد، 1990.
18. منتهى مطشر عبد الصاحب، أنماط الشخصية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان ط1، 2011.
19. وفاء محمد الحسني، الذهان، كلية المجتمع (الدراسات الإنسانية)، جامعة شقراء، السعودية.ط 2013م.

2- الرسائل الجامعية:

1. أيمن سليمان خالد التميمي ،السجون في العصر العباسي: 132هـ - 334هـ، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، المشرف: محمد عبد القادر حريسات، كلية الدراسات العليا، جامعة الأردن، 1997.
2. عبد الدائم نوال،أدب السجون عند أيمن العتوم من خلال رواية (يسمعون حسيسها)و(ياصاحبي السجن)،مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر أدب حديث ومعاصر، المشرف:بوراس سليمان، جامعة محمد بوضياف المسيلة،2021.
3. وردة العابد، السجن والسجناء في الأندلس الإسلامية 138هـ-479هـ، رسالة دكتوراه في التاريخ الوسيط، المشرف: إبراهيم بحار ، قسم التاريخ ، جامعة قسنطينة، 2018/2017.

3- المقالات و المواقع الإلكترونية:

1. لخضر منير، أدب السجون ومقاومة الاستبداد السياسي بالمغرب، مجلة الحوار المتمدن الإلكترونية، العدد 1903، 2005/05/02.

4- الملتقيات والندوات:

1. حمدي ريمة، مداخلة بعنوان "تشخيص الأمراض النفسية في المؤسسات العقابية"، جامعة 8 ماي 1945 بقالمة.

فهرس الموضوعات

شكر وعرفان

الإهداء

مقدمة..... أب ج د

الفصل الأول: الشخصية والسجن: في اللغة والسرد والحقل النفسي

أولا- الشخصية في العمل السردي والحقل النفسي..... 6

1- مفهوم الشخصية: 6

أ- لغة:..... 6

ب- اصطلاحا: 6

2- أنواع الشخصية:..... 12

أ- الشخصية السوية:..... 12

ب- الشخصية الكاريزمية:..... 13

ت- الشخصية الانبساطية:..... 13

ث- الشخصية الانطوائية:..... 14

ج- الشخصية النرجسية:..... 15

ح- الشخصية القلقة:..... 16

خ- الشخصية الشكاكة:..... 16

د- الشخصية الاعتمادية:..... 17

ذ- الشخصية الهستيرية:..... 18

ر- الشخصية الناقصة (المحدودة):..... 19

ز- الشخصية الشيزية (الفصامية):.....21
س- الشخصية السايكوباتية:.....22
ش- الشخصية المتصلبة (المتطرفة):.....23
ص- الشخصية الاغترابية:.....24
ض- الشخصية الاستعراضية المتباهية:.....25
ط- الشخصية الإرهابية:.....26
3- الشخصية من منظور علم النفس:.....27
4- الأمراض النفسية للشخصية:.....29
أ- اضطرابات عصابية (العصاب):.....30
ب- اضطرابات ذهانية (الذهان):.....31
ت- اضطرابات سلوكية اجتماعية:.....32
ثانيا- سرد السُّجون.....33
1- مفهوم السجن: 33
أ- لغة:.....33
ب- اصطلاحا: 34
2- الأمراض النفسية الناجمة عن السجن:.....35
3- أدب السجون وموضوعاته: 37
أ- مفهوم أدب السّجون: 37
ب- موضوعات أدب السّجون:.....38

4- الروايات العربية التي تناولت موضوع السّجن:.....40

الفصل الثاني: الحالات والأمراض النفسية في رواية القوقعة

وأثرها على الشخصية المسجونة

أولا- الحالات والأمراض النفسية المستعصية في الرواية..42

1- الغضب:.....42

2- الإنطواء:.....44

3- الخوف والذعر:.....45

4- الاكتئاب:.....47

5- القلق:.....48

6- التشاؤم من المصير المجهول:.....50

7- الضعف والقهر:.....50

8- فقدان السند والمعين:.....50

9- الذل والمهانة والاحتقار:.....51

10- الصدمة:.....51

11- فقدان المعنى من الحياة:.....53

12- الحب:.....54

ثانيا- الأثار الناجمة عن هذه الحالات و الأمراض النفسية:.....56

1- الانتحار:.....56

2-الكراهية:.....57

3- الجنون:.....59

4-فقدان الأمل والاستسلام:.....61

خاتمـــة.....63

قائمة المصادر والمراجع.....67

فهرس الموضوعات.....72